اللمع من خطب الجمع

المجموعة الرابعة

الشيخ

عبد الله بن صالح القصيرّ

غفر الله له ولوالديه

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الأولين والآخرين؛ فهذه هي المجموعة الخامسة من "اللمع في خطب الجمع" أقدمها لإخواني في الله من طلبة العلم ومحبي الخير، مشتملة على تذكرة وعظة في موضوعات مهمة، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بما قبلها، وأن يجعلها خالصة لوجهه.

الفهرست

الخطبة	الصفحة
مقدمة	١
الفهرست	٢
الوصية بالثبات على الملة الإبراهيمية	٤
النهي عن التطير والتشاؤم	٧
الوصية بالمحافظة على الصلوات	١٠
فضل عمارة المساجد والمحافظة على الصلوات فيها	١٣
حقيقة التوحيد وبيان صور من الشرك	١٦
تذكرة بشأن الزكاة	١٨
التذكير بالإحسان في ختام رمضان	٢١
ما ينبغي في آخر رمضان	٢٣
المحجة في فضل عشر ذي الحجة	٢٥
فضل الإصلاح بين الناس	٢٧
الحض على شكر نعمة الله تعالى بالغيث والتحذير من أمور جاهلية	٣٠
اغتنام الأعمار بالطاعات ومراعاة ما لها من الأحكام والأوقات	٣٣
حقيقة دين الإسلام ومحاسنه	٣٦
في العبرة والاعتبار	٣٩
المسؤلية وخطر تبعتها	٤٣
سوء الظن حقيقته وخطره	٤٦
علو الهمة بأداء فرائض الطاعات ثم التكميل بنوافلها	٤٨
في مفاتيح الخير ومفاتيح الشر	٥١
التحذير من البدع وبيان شؤمها	٥٤
الوقت أهميته والسؤال عنه	٥٧
التذكار بفضائل الاستغفار	٦٠

القول الحسن والكلم الطيب وبيان حسن عواقبهما	٦٤
فضل الرفق وحسن الخلق مع الخلق	٦٧
حظ اللاحقين على الإقتداء بالسلف الصالح السابقين	٧٠
الكسوف حكمته والواجب عند حدوثه	٧٢
الولاية العامة شأنها وعظم النعمة بها ووجوب أداء حقها	٧٥
تذكير المسلم بشيء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم	٧٩
من حكم الإبتلاء وصفة أهل التقوى وخصال الأشقياء	٨٤
في الإبتلاء وحكمته	٨٧
البر حقيقته وخصاله	٩١
الغيبة بلية ومصيبة	٩٣
الأذى حقيقته وحكمه وأنواعه وعظم إثمه	٩٦
البيان لشأن السنة ومنزلتها من القرآن	٩٩
الهداية حقيقتها وأسبابها وثمراتها	١٠١
التقوى والحرص على ما ينفع	١٠٤
مختصر الكلم في الحث على صلة الرحم	١٠٧
حقيقة البدعة ووجوب الحذر منها وأهلها	١١٠
حقيقة المحبة والأسباب الجالبة لها وثمراتها	١١٤
التحذير من مكائد الشيطان للإنسان	١١٧
معرفة الله تعالى حقيقتها وثمراتها	١٢٠
التقوى وفضل الصوم في المحرم	١٢٣
الحث على تعاطي أسباب الرزق المشروعة المباحة	١٢٦
اغتنام العمر فيما ينفع	١٢٩
أسباب الثبات على الدين الحق	١٣١

الوصية بالثبات على الملة الإبراهيمية والشرعة المحمدية

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات وبالعمل بطاعته تطيب الحياة وتندفع المكاره وتتولى المسرات وتعصم المثوبة والكرامة بعد الممات. أحمده سبحانه على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأشكره جل ذكره على سابغ النعمى ومترادف الآلاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشـــهد أن محمد عبد الله ورسوله الداعي إلى توحيد الله وطاعته والمكلف ببيان تفاصيل شريعته والمأمور بالتأسي به في سنته عليه وعلى آله وأصحابه أولي الألباب والنهى.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله والزموا الفطرة الحنيفية والملة الإبراهيمية والديانة المشرعة المحمدية التي خلقكم الله لها وهداكم إليها ورغبكم في الاستقامة عليها فلا تستبدلوها بغيرها أو تضعفوا فيها حتى تتركوها فتكونوا من الخاسرين الذين قال الله فيهم {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}[1].

عباد الله: اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله تعالى قد فطرنا على توحيده الذي هو الإفراد بالربوبية وتدبيره وكماله وحكمته في خلقه وتقديره والاعتراف بإلهيته وحده لا شريك له ووجوب الإخلاص لعباده له والشعور القلبي بضرورة التعبد له وطلب الوسائل الموصلة إلى رضوانه ومثوبته وصدق الله العظيم إذ يقول {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[2].

وقال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن ملأ أسماع اغتباطه بهداية الله تعالى له إلى تلك الفطرة المرضية والسبيل السوية والملة الإبراهيمية فقال {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[3]، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى:«إني خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم... الخ» وفي هذا الحديث أبلغ

---

(١) (الكهف: ١٠٣ – ١٠٦).

(٢) (الروم: ٣٠ – ٣٢).

(٣) (الأنعام: ١٦١ – ١٦٣).

الدلالة على أن كل من مال عن توحيد الله تعالى وطاعته وسنة خليليه إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلياً أو جزئياً فإنما اجتالته الشياطين فيما مال به عن الفطرة كثيراً أو قليلًا كبيراً أو صغيرًا وأن على العاقل الناصح لنفسه أن يحذر من أدنى ميل وأن يرجع إلى الميل الكبير الخطير.

عباد الله: وصح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال:«كل مولود يولد على الفطـــرة فـــأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» وفي رواية «أو يمسلمانه» وفي ذلكم الحديث الصحيح تنبيه علـــى الأثر الخطير للمربي والموجه والقدوة على فطرة الأولاد والذرية وأنه يوجهها إلى ما كان هو عليـــه من الملة والدين فإن كان مسلماً أبقى الناشئ على فطرة الإسلام وأكد عليها وإن كان يهوديـــاً أو نصرانياً أو مجوسياً حول الناشئ عن فطرة التوحيد إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية في أعمـــال القلوب وأقوال والألسنة وأعمال الجوارح وأخلاق النفوس كلياً أو جزئياً فانحرفت فطرته واختلت استقامته وانقلبت موازينه فضلَّ بعد الهدى وباء بعد البصيرة بالعمى ولذا كان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول:«اللهم مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك»، وكان صلى الله عليـــه وســـلم يقول:«أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وملة أبينا إبراهيم ودين نبينا محمد صـــلى الله عليه وسلم حنيفاً مسلما»، وإذا أمسى قال:«أمسينا... إلى آخر الدعاء»، فكان صـــلى الله عليـــه وسلم يعلم الأمة سؤال الثبات... العافية من الفتن المضلات، ويدلها على أسباب الثبات بـــالأقوال والأعمال الصالحات لأنه متى استسلمت القلوب لله تعالى وذلة له وعظم شـــأن الله تعـــالى فيهـــا فامتلأت من محبة الله تعالى ورجائه والرغبة إليه، واشتمل على خوف الله تعالى وتعظيمـــه وخشـــيته والرهبة منه ذلت الجوارح ولهجت الألسن بذكره وشكره والثناء عليه ودعائه واستغفاره والاستعانة والاستعاذة والاستجارة به وانقادت الجوارح إلى طاعته فعلاً للمأثور وامتثالاً ومحبة ورغبـــة وتركـــاً للمحظور اجتناباً وخوفاً وتعظيماً وهيبة.

أمة الإسلام: وكلما ظهر من الألسن من سوء الأقوال أو من الجوارح من سوء الأفعال والأحوال دل ذلك أو كان سبباً في ضعف الفطرة والميل عنها بحسبه وأن بدر منه شيء من ذلك عـــن علـــم وقصد وعمد قد جعل مع الله شريكاً في شيء من حقه شركاً أصغر بأن اتخذ إلهه حيث أثـــر مـــراد نفسه على مراد مولاه، أو أشركاً شركاً أكبر بأن خاف أو رجا أو دعا ميتاً أو جماد أو حيا فيمـــا لا يقدر عليه إلا الله أو صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله.

فاتقوا الله عباد الله: وأخلصوا توحيد الله تعالى في قلوبكم وصدقوه بأقوالكم وأعمالكم وأخلاقكم وأحوالكم اثبتوا على الفطرة المرضية والسبل السوية والملة الإبراهيمية والديانة المحمدية

ولا تزيغوا عنها عن علم وقصد وعمل فيزيغ الله قلوبكم ويعذبكم بما اقترفتم فإن الله تعالى قال {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[1] أي الخارجين عن الطاعة عن قصد وعمد وقال تعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[2]، ألا فاتقوا الله {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[3].

(١) (الصف: من الآية ٥).

(٢) (النور: من الآية ٦٣).

(٣) (البقرة: ٢٨١).

النهي عن التطير والتشاؤم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونثني عليه الخير كله ونشكره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله فإنها لكم خير زاد، وخير لباس، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، فهي معيار الاصطفاء وآية الاحتباء في الدنيا والأخرى، فإن التقي هو الكريم من الورى.

عباد الله: إن دين الإسلام دين كامل وشرع شامل، جامع لكل أسباب السعادة والفلاح في العاجل والآجل بل في الدنيا والآخرة فلا خير إلا دلّ عليه، وأمره به ورغب فيه، وما من شر إلا ونبه عليه، ونهى عنه، وزجر عن سلوك سبيله، وإن مما استحسنه الإسلام ورغب فيه الفأل، لأنه مقوٍ للعزيمة حاث على تحصيل البقية، فاتح لأبواب الخير، باعث على حسن الظن بالله تعالى، وعظم الرجاء به سبحانه في تحصيل المقصود، وطاردٍ لليأس والقنوط، والاستسلام للوهن، وأسباب الهم والحزن والعجز والكسل، وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى:«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه ما ذكرني».

معشر المسلمين: وإن مما ذمه الله، ونهى عنه وزجر منه الطيرة، وهي التشاؤم بمرأى أو مسمع، أو شخص أو زمان أو مكان، أو معلوم، أو موهوم. ذلك لأن الطيرة تفسد النية، وتصد عن الوجهة، وتفتح أبواب الشر والضر، وتعد بالهلاك أو الخسر، فمبناها على الوهم وسوء الظن، ولحمتها وسراها التشبه بأهل الجاهلية، والشرك في الربوبية بنسبة شيء من التصرف والتدبير لأحد من البرية وأمور وهمية، فأصلها الوهم وسوء الظن، وفرعها الشرك والوهن، فهي نقص في العقل، وانحراف في المعتقد، وضلال في العمل عن الصراط المستقيم، ولحاق في الغاية بركب ومآل أهل الجحيم، فالتشاؤم أو الطيرة أيها المسلمون عقيدة فرعونية، وسنة من سنن أهل الجاهلية ومهلكة وخسارة أرضية، وحادة إلى الجحيم حتمية.

معشر المسلمين: التشاؤم أو التطير هو، أو الاعتقاد بأن المسموع أو المرئي أو الشخص أو الزمان أو المكان أو غير هذه الأمور مما قد يرد على خاطر المتشائم أو المتطير مشؤما، أي اعتقاد أو اعتبار أن وجود سبب في حدوث ما يحزن أو يضر أو يشقى أو يهلك ولا يبقي في نهاية الأمر، فإن أصل الطيرة أن أهل الجاهلية كانوا ينفرون الطير أو يزجرون الوحش فيرسلونها ويستدلون بأجناسها أو

أصواتها أو اتجاهها على حظوظهم ونهاية أمورهم لمستقبله في الخير أو الشر ثم غلب لفظ الطيرة على التشاؤم لأن للأثر الحاصل من دلالة الطيران على الشؤم دلالة أشد على النفس لأن توقع الضر أدخل في النفوس من رجاء الخير، ثم أطلق على كل حدث أو شخص أو زمان أو مكان يتوهم منه متوهم أنه كان سبباً لحاق شر به فصار مرادفاً للتشاؤم.

أمة الإسلام: احذروا التشاؤم أو الطيرة فإنها فساد في النيات وانحراف في المعتقدات وتأليه لشيء من المخلوقات وسوء ظن برب البريات وأخذ بمسالك الضلال أهل الجاهليات، فمتى ما استعمل المرء الطيرة أو التشاؤم فرجع بسببها من سفرة أو امتنع من أجلها عن أمر كان قد عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل وقد لجه وارتكس في عفنه، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف من الخلق والتعلق على غير الله ومن التوكل على كل شيء وكل إليه، وقيض له شيطان فهو له قرين يصده عن ذكر الله، ويفسد عليه دينه ودنياه، وكم أهلك بذلك من هلك بخسارة دنياه وأخراه فما أضل المتشائمين، وما أخسر صفقتهم بين العالمين، فهم أخسر الناس دنيا وأشقاهم يوم الدين قال تعالى عن آل فرعون {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[1] أي طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم أي شؤمهم عند الله وجاءهم من قبله بكفرهم بالله وتكذيبهم بآياته ورسله {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أي ظنوا أن ما أصابهم من المصائب والنكبات بسبب دعوة موسى عليه السلام ومن آمن معه ووجودهم بين ظهرانيهم وإنما جاءهم الشؤم بسبب كفرهم وظلمهم وبغيهم فإن الإجرام والذنوب هي المذهبة للنعم والملك المهلكة للأمم والشعوب وقال تعالى عن أهل القرية المكذبين للمرسلين {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}[2] والمعنى أن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ردوا على أهل القرية المكذبين المتشائمين قائلين: حظكم وما أصابكم من شرك بسبب أفعالكم الإجرامية، وكفركم برب البرية ومخالفتكم الناصحين فليس هو بسببنا ولا من أجلنا بل ببغيكم وعدوانكم فطائر الباغي الظالم معه فما أصابه من ضر أو وقع به من شر فهو بسبب ما هو عليه من الظلم والكفر وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، أن شؤم المتشائم راجع عليه وتدبيره للكيد لأولياء الله تدبير من الله عليه واستعجال لعقوبة الله له.

---

(١) (الأعراف: ١٣١).

(٢) (يس ١٨: ١٩).

أمة الإسلام: وفي المأثور عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال:«لا عدوى ولا طيرة»، وقال:«الطيرة شرك الطيرة شرك»، وقال:«الطيرة ما أمضاك أو ردك»، وقال:«من ردته الطيرة فقد أشرك»، وقال:«ليس منا من تطير أو تُطير له»، وقال صلى الله عليه وسلم مبيناً كفارة الطيرة أن تقول:«اللهم لا خير إلا خيرُك ولا طير إلا طيرُك ولا إله غيرُك»، وقال:«إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأت بالحسنات إلا أنت ولا يرفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك».

أمة الإسلام: إنما الطير شركاً لما فيها من ادعاء علم الغيب ونسبة شيء من التصرف لغير الله وتعلق قلب المتطير بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله واعتقاد ما ليس سبباً في شيء لا شرعاً ولا قدراً سبباً فيه.

الوصية بالمحافظة على الصلوات

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى في سائر الحالات، وحافظوا على الصلوات في الأوقات، واحذروا تركها والسهو عنها فإنهما من المهلكات، ومن إضاعتها المتوعد عليه بشديد الوعيد في محكم الآيات، وما ثبت عن نبيكم صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصريحة الصحيحان قال تعالى {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا}[1]، وثبت عن نبيكم صلى الله عليه وسلم قوله في صحيح الخبر:«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، وكان أصحاب نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.

أيها المسلمون: إذا كان الله تعالى قد توعد على تضييع الصلاة بغي وهو الهلاك والخسران أو هو وادي في جهنم «جنبنا الله وإياكم إياها» شديد حره بعيد قعره عظيم هوله وشره فإنما ذلكم لأن التضييع وسيلة الترك وسببه فإن التضييع هو تأخير الصلاة عن الوقت أي الكسل عنها وتأخيرها حتى يخرج وقتها وأما تركها فهو عدم إقامتها بالكلية أي أن لا يصليها أصلاً عمداً، قال ابن مسعود رضي الله عنه:«وليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية أي أن لا يصليها أصلاً عمداً، قال ابن مسعود رضي الله عنه:(وليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها)، وقال إمام التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله:«هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر إلى المغرب، ولا يصلي المغرب إلى العشاء ولا يصلي العشاء إلى الفجر ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغيٍ وهي وادٍ في جهنم بعيد قعره، شديد عقابه»، وقال محمد بن كعب القرضي رضي الله عنه:«إضاعتها هي إضاعة أوقاتها وعدم القيام بحقوقها».

عباد الله: والسهو عن الصلاة الذي توعد الله تعالى أهله بويل لما قاله تعالى {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}[2] فهو أيضاً إضاعة وقت الصلاة أي إخراج الصلاة عن وقتها الذي شرعه الله بأن تؤدى بعد مضي الوقت، وقد اتفق على هذا جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والذين هم أعلم الأمة بكتاب الله

---

(١) (مريم: ٥٩ – ٦١).

(٢) (الماعون: ٤).

تبارك وتعالى وهدي نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم وبارك عليه ما ليل غسق وصبح فلق.

وقيل الساهي عن صلاته هو: الذي إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه «أي لم يخشى عقوبة تركه لغفلة قلبه».

معشر المسلمين: قال ابن القيم رحمه الله تعالى:«لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وإن إثمه عند الله تعالى أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة»، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله على الآفاق:«إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع» «ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة».

معشر المسلمين: الصلاة أول فروض الإسلام بعد التوحيد، وآخر ما يفقد منه بالتحديد والشيء إذا ذهب أوله وآخره فقد ذهب كله، فإذا ضيعت الصلاة فقد ضيع الدين كله فإنها علامة الدين وبرهانه، وثانية أركانه وعنوانه ولذا كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر، قال أيوب رحمه الله:«ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه».

معشر المؤمنين: كيف يطمئن مضيع الصلاة على مستقبله والله تعالى قال عن المجرمين {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}[1] وسقر هي النار أو دركة من دركاتها فأي وعيد أصرح وأخطر من هذا الوعيد من ذي البطش الشديد القائل {قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}[2]، {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}[3]، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}[4].

أمة الإسلام: ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بأس به أنه قال: لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو حرقتم، ولا تتركوا الصلاة متعمدين فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة، وثبت في

---

(١) (المدثر: ٤٢ – ٤٣).

(٢) (ق: ٢٨).

(٣) (ق: ٣٠).

(٤) (ق: ٣٧).

صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث: من ترك واحدة منهنَّ فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان»، وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما ذهب بصره قيل له نداويك وتدع الصلاة أياماً قال: لا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان»، وقال علي رضي الله عنه:«من ترك صلاة واحدة متعمداً فقد برئ من الله وبرئ الله منه»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه:«من ترك الصلاة فلا دين له»، وقال علي رضي الله عنه:«من لم يصلي فهو كافر»، وقال الإمام أحمد رحمه الله:«كل شيء يذهب آخر فقد ذهب جميعه فإذا ذهبت صلاة المرء فقد ذهب دينه».

فاتقوا الله عباد الله وعظموا شأن الصلاة فإن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ولا تضيعوها فتضيعوا دينكم وتتعرضوا لعقوبة ربكم وتخسروا دنياكم وأخرتكم فتكونوا من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ألا وإن الله تعالى قد وصف المحافظين على الصلاة بالهدى وشهد لهم بالسبق إلى الخيرات وواعدهم بالفردوس من الجنان في محكم الآيات {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان.

---

(١) (المؤمنون: ٩ – ١١).

فضل عمارة المساجد والمحافظة على الصلوات فيها

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(١)، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}(٢)، {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}(٣).

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تفوزوا بمثوبته واستعينوا بالله على طاعته وأخلصوا له في عبادته، وتذكروا أن هذه المساجد لله أضافها الله تعالى إليه إضافة تشريف وتكريم وهي أحب البقاع إليه لما يقع فيها من الدين العظيم ولذا أذن الله تعالى برفعها وأن يذكر اسمه فيها فقال تعالى {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}(٤) أي شرع ومضى في كتابه العظيم وعلى لسانه رسوله وخليله محمد صلى الله عليه وسلم الكريم أن ترفع ذلك ببنائها وتنظيفها وتطييبها وتطهيرها من النجاسات المعنوية كالشرك بالله والابتداع في دين الله، ومن النجاسات الحسية كالبول والقذر ونحوهما مما لا يليق ببيوت الله تعالى، وأن يذكر اسمه بالدعاء والصلاة وتلاوة القرآن وتعليم العلم ونحوها من الطاعات، فتضمنت تلكم الكلمتان من الآية {أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}، مجموع أحكام المساجد وهما في طليعة أعمال الأنبياء المكرمين والرسل المعظمين كما قال تعالى {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(٥) وقال تعالى {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(٦)، وكان أول عمل عمله النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة مهاجراً أن بنى مسجد قباء ومسجده صلى

---

(١) (النساء: ١).

(٢) (آل عمران: ١٠٢).

(٣) (الأحزاب ٧٠ – ٧١).

(٤) (النور: من الآية ٣٦).

(٥) (البقرة: ١٢٧).

(٦) (الحج: ٢٦).

الله عليه وسلم فأسسها على التقوى ولذا كان ترميم المساجد القائمة وبناء المساجد الجديدة في الأحياء والقبائل والأمصار من أولويات خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم الراشدين وصحابته الأئمة المهديين وأتباعهم على منهاجهم وسننهم إلى أن يرث الله الأولين والأخريين كما قال تعالى {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(١)، فكل هؤلاء موعودون من الله بالرضوان وعلى الجنان لما هم عليه من الإيمان وصالح العمل ومنه بناء المساجد وعمارتها بذكر الله عز وجل {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٢).

معشر المسلمين: وكم في صحيح السنة من الوعد بالجنة لمن بنى لله مسجداً كقوله صلى الله عليه وسلم:«من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» متفق عليه، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:«من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة» رواه ابن ماجه وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«من بنى مسجداً صغيراً أو كبيرا بنى الله له بيتاً في الجنة»، وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:«أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب»، ولقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته «علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه بعد موته» أخرجه ابن ماجة وحسن المنذري إسناده.

معشر المؤمنين: ومن عظيم شأن المساجد وعظيم بركتها وحسن عاقبة عمارتها أن المشي إليها لصلاة، وإن الانتظار لصلاة فيها بعد الصلاة صلاة وأن من غدى إليها أو راح أعد الله له نزلاً أي ضيافة في الجنة كلما غدا أو راح، وقال صلى الله عليه وسلم:«بشروا المشائين في الظلام إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن منتظر الصلاة في المسجد تصلي عليه الملائكة ودعاؤه مستجاب وأنه في رباط في سبيل الله ما انتظر الصلاة، وله بكل خطوة إلى المسجد صدقة متقبلة، وحسنة مكتوبة ودرجة مرفوعة، ومحو خطيئة فما أعظم شأن المساجد وما أعظم ما ادخر الله من المثوبة على عمارتها للعابد الساجد.

---

(١) (التوبة: ١٠٠).

(٢) (الروم: ٦).

أمة الإسلام: وللمحافظة على الجماعة في المساجد بشارة للمحافظين بحسن الختام بأن يلقوا الله تعالى على الإسلام ويدخلوا الجنة دار السلام ففي الحديث الصحيح الثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله وهو في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم «من سره أن يلقى الله غداً مسلما فليحافظ على هؤلاء المصلون حيث ينادى بهن» وفي الحديث الآخر يقول صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس «من حافظ عليهن كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة وكان له عهد عند الله أن يدخله الجنة»، وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «رجل قلبه معلق بالمساجد»، فما أحسن تلك العوائد وما أكرم الفوائد.

حقيقة التوحيد وبيان صور من الشرك

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق الجن والإنس ليعبدوه ورزقهم من الطيبات ليعرفوا نعمته فيشكروه أحمده سبحانه علم أن لن تحصوه، فتاب عليكم فتوبوا إليه واستغفروه، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي أمر أن لا تعبدوا إلا إياه، فامتثلوا أمره ووحدوه وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، المبعوث بأن يوحد الله وتكسر الأوثان، وقد صار الدين كله لله ولو كره الكافرون والمشركون، فتحقق وعد الله تعالى في محكم القرآن وهكذا تكون العاقبة لمن وحد الله تعالى في كل زمان ومكان لمن عمل بالقرآن وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والبيان صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك المفلحون.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وتذكروا أنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سُداً، وإنما خلقتم لمهمة عظيمة ووظيفة هي أن تعبدوا الله تعالى بما شرع وتتبعوا نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل ليطاع ويتبع، فمن عبد الله تعالى بما شرعه، واستجاب لنبيه صلى الله عليه وسلم واتبعه، كان أهلاً أن يكون مع المتقين في جنات ونهر. في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ومن جحد وكفر أصلاه الله سقر، وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، عليها ملائكة غلاظ شداد عدتهم تسعة عشر.

عباد الله: إن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وإن حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فمن أدى حق الله عليه نال الثواب ونجى من العقاب ومن أشرك بالله العظيم فقد أعرض عن كريم الثواب، وتعرض لأليم العذاب فآمنوا بالله تفلحوا، ووحدوه تربحوا ولا تشركوا فتخسروا فإنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار.

أما الإسلام: إن الشرك من الشركة وهي أن يكون الشيء مخالطاً بين شخصين لهذا منه شرك ولذاك فيه شرك وفي الشرع هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله وهو الله الذي أردى أهله في الجحيم قالوا وهم مختصمون {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} فتوحيد الله تعالى أن يفرد في حقه، وأن لا يجعل له شريك فيه من أحد من خلقه، إن الشرك لظلم عظيم، إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفترى إثماً، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق.

أمة الإسلام: إن الشرك له صور وكلها إثم وضلال، وظلم وجور كبيرها مهلك، وصغيرها مدرك ومن وقع في شيء منها فهو مشرك والمشرك داخل تحت طائلة الوعيد وأخذ بسبب العذاب الشديد فقد ظلم وما ظلمه الله وما ربك بظلام للعبيد، ولكن المشرك ظالم عنيد كفار جحود.

أمة الإسلام: من سجد لغير الله أو ذبح لغير الله أو دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو خاف مخلوقاً «بقلبه» خوفه من الله أو عظمه تعظيمه الله أو اتبعه أو وافقه مختاراً في تغييره لحكم الله فقد ارتكب الشرك الأكبر المحبط للعمل المخرج من دين الله عز وجل والذي لا يغفر الله تعالى لمن مات ولا تناله من الله رحمة بل هو في العذاب خالداً فيه.

أمة الإسلام: ومن كان يصلي تارة ويترك أخرى ويصلي الصلاة مختاراً في غير وقتها الذي شرعه المولى وهكذا من يأخذ العرض المحرم من هذا الأدنى، ويقول سيغفر لنا، وهكذا مرتكب كبائر الذنوب عن علم واختيار فهو عبد للهوى، اتخذ إلهه هواه فذلك نوع خفي من الشرك بالله قال تعالى {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}(١).

أمة الإسلام: ومن صور الشرك الحلف بغير الله وقول لولا الله وفلان أو إضافة نعمة الله تعالى إلى الإنسان أو سببه والمراد بالعمل الشرعي أو التسميع به الحديث عن العمل السابق أو تحسين الصوت من أجل المخلوق بالعلم الحاضر أو اللاحق ومثله إرادة الإنسان بعمله الدنيا أو المنزلة عند الناس أو أدنى فكل ذلك شرك برب العالمين وخسران لثواب العمل يوم الدين، وفضيحة لأهله على رؤوس الخلائق أجمعين لأنه محبط للعمل، مغضب لله عز وجل مبطل للثواب، معرض لشديد العقاب ويتوب الله تعالى على من تاب، ومن ندم على ما مضى منه كان ندمه حسنات متجددة كما جاء في محكم الكتاب {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}(٢).

---

(١) (الفرقان: ٤٣).

(٢) (الفرقان: ٦٨).

تذكرة بشأن الزكاة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبالعمل بطاعته تطيب الحياة وتستنـــزل البركات وتستدفع المصائب والبليات وتتقى العقوبات. أحمده سبحانه حمداً يملأ الأرض والسموات وغيرهما مما يشاء من الكائنات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل في المال حقاً معلوماً فريضة هو الزكاة، وما أوجبه سبحانه من النفقات وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله أجود الناس وأسرعهم بالخير والبر إلى مستحقها من الناس وأقوم الناس بالقسطاس وأبعدهم عن الأذى بغير الحق لأحد من الناس، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين كـــانوا يســـارعون في الخـــيرات ويعرضون عن اللغو والإثم وغيرهما من ذميم الأعمال والأقوال والنيات والصفات.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى في سائر أموركم وأحوالكم، واتقوه خاصـــة في أرزاقكـــم وأموالكم، فإن الله تعالى قد جعل لكم الأموال قياماً، واستخلفكم فيها أيام، ليبتليكم فيها فيرفع بها درجات أقوام بكريم الإنفاق، ويميز آخرين عن غيرهم بالشح والبخل وقبض اليد ونحوها من خصال النفاق، ثم يحولها إلى قوم آخرين من الوارثين وغيرهم من المبتلين سنة ثابتة له ســـبحانه في الأولـــين والآخرين.

عباد الله: تذكروا أن الله تعالى أعطاكم الخير الكثير، واستقرضكم الشيء اليسير وما تنفقوا من خير فلأنفسكم يتقبل الله طيبه، فيضاعفه بالبركة والمثوبة ويطيبه ويبلغكم به جنان تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1]، {وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}[2]، فأنفقوا من أموالكم خيراً لكم، تنالوا بره وبركته وتتقوا شره وهلكته وعقوبته.

معشر المسلمين: من حكمة الله تعالى ولطفه بعباده أنه لم يجعل في عموم الأموال ولا الأحوال وإنما جعلها قدراً يسيراً في الأموال النامية، وبشروط وأحوال غاية في الحكمة والمناسبة، فجعلها تعـــالى في أربعة أموال هي: بهيمة الأنعام والخارج من الأرض، وعروض التجارة، والأثمار، ومن شـــروطها «في تلك الأموال» تمام الملك ومضي الحول وبلوغ النصـــاب في الجملـــة وأن يـــراد بهـــا الاســـتثمار والاستغلال، ولذا فلا زكاة في الأموال الموقوفة، ولا فيما لم يمضي عليه الحول أو على أصـــله غـــير

---

(١) (الحشر: من الآية٩).

(٢) (محمد: من الآية ٣٨).

الخارج من الأرض، وما وجد من دفن الجاهلية، ولا فيما يقتنيه الإنسان لحاجته واستهلاكه لأنه ينقص ويضمحل ولا يحتمل المواساة.

معشر المؤمنين: ثم إن القدر الواجب في تلك الأموال مبلغ يسير لا يجاوز اثنين ونصفا في المئة في الجملة، فهو مقدار في المال يسير وربحه وعائده على أخذه وعلى مخرجه كبير، هو الحكمة من فرضه والحض عليه، فإن ما تخرجونه من زكاتكم «مع قلته ويسره» تزكون به إيمانكم، وأعمالكم وأخلاقكم، وتطهرون وتطيبون به أموالكم، وتستجلبون به بركتها، وبرها، وأجرها، وتتقون به شؤمها، وإثمها، وعقوبتها، وشرها، وتزكون به إخوانكم المحاويج، فتغنونهم به عن ذل السؤال، وحرج مئونة العيال وتفرجون به عنهم الهموم، وتنفسون به الكروب، وتيسرون به على المعسرين، بتحقيق المطلوب، وتغيثون به الملهوفين، وتعينون به مستحقه على العبادة، وتجلبون به لهم السعادة، وتحررون به الغارمين من رق الدين، وتجاهدون به مع المجاهدين، وتتألفون به الناس على الدين، وتتقون به النار،،ترثون به الفردوس منازل الأخيار، فما أجل حكم الله في أحكامه وما أعظم حكمته سبحانه في فرض الزكاة والصدقة على المسلم في بدنه وماله.

أيها المؤمنون: اعرفوا لفريضة الزكاة قدرها وخطرها، واغتنموا ذخرها وبرها، واحذروا عقوبة جحودها، والبخل بها فإن من بخل بالزكاة يشقى بماله، في عاجل أمره وفي مآله، فما هلك مال من بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة ولا شقي عبد بماله فاستعبده حتى نسي الله، وذهب عما يسعده في دنياه وأخره إلا بمنع الزكاة، وما منع الناس القطر من السماء ونزعت البركة مما تخرج الأرض من النبات إلا بمنع الزكاة، وما ابتلي الناس بالضرائب والمكوس التي يخرجونها رغماً عن أنوفهم من غير رجاء مثوبة ولا خلفٍ في العاجلة والآجلة إلا بسبب منع الزكاة، وما تنغص حياة بعض الناس بالأمراض المستعصية التي حرمتهم لذة التمتع بأموالهم مع كثرتها إلا وهي في الجملة من العقوبات القدرية لمنع الزكاة.

أمة الإسلام: وأما يوم القيامة فإن مانع الزكاة يعذب بماله ببدنه فيبطح لبهيمة الأنعام في قاع قرر تمر عليه تعضه بأفواهها وتطئه بأظلافها وأخفافها كلما مرت عليه أخراها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

أمة الإسلام: وهكذا مانع زكاة الذهب والفضة تصفح له أمواله صفائح من نار يحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وكذلك مانع زكاة ماله في غير الذهب والفضة يمثل له ماله ثعبان أقرع يأخذ بلهزمته ويقول أنا مالك أنا كنزك.

ألا فاتقوا الله عباد الله وأدوا الزكاة وطيبوا بها نفساً لله، وأحسنوا بها عباد الله تنالوا بركتها ومثوبتها دنيا وآخرة وتتقوا عقوبتها في العاجلة والآجلة {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}(١).

(١) (البقرة:٢٨١).

التذكير بالإحسان في ختام رمضان

أما بعد: فاتقوا الله أهل الإسلام وتذكروا بسرعة تصرم الشهر، سرعة إنقضاء العمر وقرب انقطاع الأثر، وأحسنوا في ختام الشهر، استكمالاً للأجر، وطمعاً في الزلفى، واستزادة من الخير، وتذكروا أن الأعمال بالخواتيم، وأن المرد إلى الحي القيوم، الذي يحكم بالعدل، ويجود بالفضل.

معشر المسلمين: أكثروا من الاستغفار والذكر، فإنهما من أسباب تفضيل العمل ومحو التقصير والزلل، ونشاط الهمة والجوارح في طاعة الله عز وجل، وذهاب الهم والحزن والعجز والكسل، فقد فاز المستغفرون والذاكرون بالأجر العظيم والذكر الكريم، والصلوات من الله تعالى وملائكته ومغفرة الله تعالى وعفوه ورحمته.

معشر المؤمنين: اشكروا الله على نعمته وانتظروا منه، المزيد وتوقوا به العذاب الشديد لقد بلغكم الله الشهر، ومتعكم حتى أدركتم الليالي العشر، واستكملتم العدة مع العافية واليسر وجمع الله بين تمام الصيام، والقيام مع الأئمة الذي يستكمل به القيام، ويسر الله لكم تلاوة القرآن، ونوع لكم أبواب الإحسان، فإن تشكروا فإن ربكم شكور، وإن تكفروا فإنه لا يحب كل مختال كفور.

معشر المؤمنين: ومن كرم الله عليكم أن فتح لكم باب التوبة من الخطيئة والزلل، وبشركم بأنه يقبل ويضاعف المثوبة على صالح العمل وقال في محكم المنزل منه {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ}[1] وتهدد في صريح تنزيله بقوله {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[2] وأخبر أنه تعالى يحب التوابين والمحسنين، ولا يحب الظالمين ولا يصلح عمل المفسدين.

أمة الإسلام: واخرجوا زكاة فطركم التي فرض الله عليكم ختام شهركم تزكية لإيمانكم وعملكم ومواساة لمساكنكم وفقرائكم، ومحو لخطيئاتكم، وتكميلاً لنقص عملكم، وشكرا لربكم على إكمال العدة وإغناءاً لمحاويجكم ليلة العيد ويومه عن المسألة، فأنفقوا من قوتكم ولن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه والله الغني وأنتم الفقراء.

عباد الله: إن صدقة الفطر عبادة جلية وشعيرة محلية وهي بعدد رؤوس أهل البيت ومن يموتون فيخرج عن كل شخص صاعا «كيلو ونصف» مما تأكلون، تعطى لصنفين من أهل الزكاة هما الفقراء والمساكين، ليلة العيد وقبل صلاة العيد ويجوز أن تخرج قبله بيوم أو بيومين، ولو أخر أخرجت «لكن مع الإثم» ولا بد أن تسلم لمستحقيها أو لوكيله المعلوم منه ولا يصح إخراج البدل

---

(١) (المائدة من الآية ٣٩).

(٢) (الحجرات: من الآية ١١).

أو القيمة لأن النبي صلى الله عليه وسلم عينها من القوت مع وجود القيمة والبدل من أثاث البيوت فعلم أن إخراجها من القوت مقصود لذاته قبل يترك المستيقن للمحتمل ومن استبانت له السـنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الأمة.

أمة الإسلام: كبروا الله ليلة العيد وقبل وأثناء صلاة العيد فإن الله تعالى قد أمركم أن تكبروا على ما هداكم وجعله من الشكر له على ما أعطاكم {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[1]، فإذا رأيتم الهلال أو بلغكم ثبوته فكبروا الله قائلين الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، فإن التكبير في هذه المناسبة من سنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمرسلين، ومن هدي سلفكم الصالحين، فقد ثبتت بذلك الآثار وعمل به المسلمون في جميع الأمصار على امتداد القرون والاعصار، ألا وإنه للإسلام شعار، وكم فيه من إغاظة للمنافقين والكفار، قال الإمام أحمد رحمه الله:«كان ابن عمر رضي الله عنهما يكبر في العيدين جميعا»، وأخرج الدارقطني رحمه الله بسنده أن ابن عمر رضي الله عنهما «كان إذا غدا يوم الفطر والأضحى إلى المصلى يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى ثم يكبر حتى يأتي الإمام»، وفي الصحيح عن أم عطية رضي الله عنها قالت:«كنا نؤمر أن نخرج الحيض والعواتق «تعني إلى العيد» يكبرن مع الناس». فأجاروا «عباد الله» بالتكبير وأظهروا في المسير والمصليات وكبروا مع الإمام في الخطبة والصلاة تشهروا السنة وتدخلوا الجنة، وتأمنوا من النار والفتنة.

(١) (البقرة: من الآية ١٨٥).

ما ينبغي في آخر رمضان

الحمد لله الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، أحمده سبحانه هو القادر على كل شيء العالم بعاقبة الميت والحي، ولا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله المبعوث بين يدي الساعة بالحق بشيراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه السابقين بالخيرات المشهود لهم بالرضوان والجنة في محكم الآيات.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، واعتبروا باختلاف الليل والنهار فإنهما مواقيت للأعمال ومقادير للأعمار ومواعيد للآجال، وإنهما يبانيان كل جديد، ويدنيان كل بعيد ويأتينا بكل موعود وهما خزائن للأعمال وعلى المكلفين من جملة الشهود.

أيها الناس: بالأمس القريب كنتم تتهيئون لقدوم رمضان وأنتم اليوم توشكون على وداعه كما ودعتم ما قبله من الزمان ثم تفضون إلى الواحد القهار فتوفى النفوس ما عملت ويحصد الزارعون ما زرعوا إن أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤا فبئس ما صنعوا فإنما هي أعمالكم تحصى عليكم ثم توفون إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه فما ظلمه الله.

عباد الله: اختموا شهركم ذاكرين لثلاثة أمور الأول: أن تختموه محسنين ما أمكنكم فإن الأعمال بالخواتيم فاختموا الشهر مقبلين على الله تعالى راغبين إليه راجين له خائفين من سوء عواقب تفريطكم وتقصيركم ولا تختموه بالسآمة والملل، والعجز والكسل {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[1].

الثاني: أن ليلة القدر قد تكون فيما بقي من الشهر فإنكم لستم على يقين من إدراكها، وحسن قيامها فيما مضى، فلم يأتكم بتعيينها فيما مضى من شهركم وحي يوحى، معصوم من ذلولهم بالخطأ.

الثالث: أن الله تعالى يعتق في أخر ليلة من الشهر مثلما أعتق من أوله إلى آخره وليس عندكم يقين بالعتق من النار ثابت بصحيح الأخبار.

---

(١) (النور: ٦٣).

معشر المسلمين: وإنكم مهما اجتهدتم في شهركم، بحاجة إلى ربكم أن يتقبل عملكم، وأن يتجاوز عن تقصيركم وزللكم، وأن يوفي أجوركم مع ضعف جهدكم واجتهادكم، فاختموا الشهر والعبادة بكثرة الذكر والاستغفار، فإنهما يكملان العمل ويجبران الانكسار، ويجلبان رحمة ومغفرة الرحيم الغفار، واصبروا فإن الله يحب الصابرين، واتقوا فإن الله إنما يتقبل من المتقين، وأحسنوا فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، وخافوا الله وتوكلوا عليه، إن كنتم مؤمنين، ولا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ولا تأمنوا مكر الله فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ولا تيأسوا من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا تقنطوا من رحمة الله ومن يقنط من رحمة الله إلا الضالون.

المحجة في فضل عشر ذي الحجة

الحمد لله الذي أوضح المحجة، وأقام الحجة، وفضل عشر ذي الحجة.

أحمده سبحانه على حكمته البالغة وحجته الدامغة، ونعمته السابغة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله، المبعوث بالحق بين يدي الساعة إلى الناس كافة صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، الذين كانوا يسارعون في الخيرات، ويدعون الله ويذكرونه في سائر الأوقات، وكانوا أئمة الأمة في التعبد بجميع العبادات.

أما بعد: فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فإنها خير زاد وخير لباس، وإن أهلها عند الله هم أكرم الناس، وإن الله تعالى ينجي من النار الذين اتقوا ويورث الجنة من عباده من كان تقيا.

عباد الله: إن الله تعالى لما اقتضت حكمته «وهو العليم الحكيم» قصر أعمار هذه الأمة، عوضها الله تعالى بمواسم خيرة مباركة، يفضل فيها العمل، ويعظم عليه الأجر فضلاً من الله عز وجل، حيث يجتمع للعباد فيها شرف الزمان وشرف العبادة، وكرم المثوبة، فيثيب الله تعالى العاملين المحسنين، على أنواع الطاعات ثواباً لا يخطر لأحدهم على بال، ولا يدور له في خيال، فضلاً من ذي الكرم والجلال.

عباد الله: إن أيام عشر ذي الحجة، هي أفضل أيام السنة على الإطلاق، والعمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى باتفاق، فاعرفوا لهذه العشرة شرفها واقدروا لها قدرها، واطلبوا فضل الله فيها واغتنموها بصالح العمل، والتوبة إلى الله تعالى فيها من التقصير والزلل، والحذر من مقارفة الذنوب إجلالاً وتعظيماً لله عز وجل قبل مضيها أو مفاجأة الأجل، فإن مواسم الخير لا تدوم، وإن غنيمة المتسابقين إلى الخيرات لا يحيط بها إلا الحي القيوم، وإن المفرط المسوف يلوم ولنفسه ظلوم.

عباد الله: انتفعوا من فسحة الأجل بصالح العمل قبل أن تواجهوا ما ذكر الله عز وجل من قوله تعالى {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ

تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[١].

أيها المسلمون: إن أعظم وأحب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى في هذا العشر أداء فرائض الطاعات، ثم اجتناب المنهيات والتوبة إلى الله تعالى مما سلف من السيئات ثم التحبب إلى الله تعالى بالنوافل المستحبات، فاعبدوا الله محسنين، واذكروه مصبحين وممسين وكل حين، وادعوه مخلصين له الدين، حافظوا على الصلوات واركعوا مع الراكعين، وأدوا الزكاة، واستكثروا من الصدقات، وصوموا ما تيسر لكم من أيام تلك العشر المباركات، وخصوصاً يوم عرفة لغير الحجاج فإنه يكفر خطايا سنتين، وأكثروا فيها من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، واجهروا بهذا الذكر في هذه الأيام، في المساجد والبيوت والأسواق فإنه من شعار الإسلام.

معشر المسلمين: تاج الأعمال الصالحة وأعظمها وسيلة للتجارة الرابحة الحج والعمرة مع البر والنفقة الطيبة فإن فيها كمال الدين، ومنافع عظيمة للمؤمنين، ومن أسباب سعة الرزق وتكفير الآثام، وفيها إظهار لعظمة وعزة الإسلام، وإغاظة لأعداء الملة وهما من أعظم أسباب دخول الجنة، ناهيك بما في رحلتهما من فرصة مباركة للتفقه في الدين وتحقيق الألفة والتعاون على الخير بين المؤمنين.

أيها المؤمنين: ومن لم يتيسر له الحج فليغتنم هذه العشر بما سبقت الإشارة إليه من أنواع الذكر والطاعة وليحافظوا على الجماعة وليحرص على الأضحية فإنها نسك عظيم، وسنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم فما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من إراقة دم.

أمة الإسلام: اعبدوا الله مولاكم، وكبروه على ما هداكم، وضحوا تقبل ضحاياكم، وأفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأحسنوا بأنواع الإحسان إلى أهل الإسلام، وكفوا الأذى بغير حق عن الخاص والعام، وتحلوا بحسن الخلق وابتغوا عند الله الرزق، وتذكروا أن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال، فاستقيموا كما أمرتم واجتنبوا ما عنه نهيتم واستغفروا الله وتوبوا إليه من سيء ما أسلفتم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}[٢] الآيات.

---

(١) (الزمر: ٥٦ – ٥٨).

(٢) (النساء: من الآية ٦٦).

فضل الإصلاح بين الناس

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله لكم خير لباس، واسعوا في إصلاح ذات البين بين الناس بالقسطاس، فإن الإصلاح العادل من جليل القرب الموصلة إلى علي الرتب، وكريم المطلـــب، لا يقوم به إلا الأخيار، ولا يتصدى له إلا ذو الهمم الكبار وأهل الخير والصدارة في الدنيا، وألـــوا الرتب العلية والشفاعة المرضية في الأخرى كيف لا وهم أرحم الناس بالناس، وأعظمهم إحساناً إلى الناس وأشهدهم تحملاً في هذا الشأن لأذى الناس يئدون الشر في مهده، ويردون ذا الغي إلى رشده ويكفون الشرعية عن المظلوم، ويقطعون شر الظلوم الغشوم.

أيها الناس: إن إصلاح ذات البين هو التأليف بين المتنافرين والتوفيق بين المختلفين، وحقن دماء المقتتلين به تسل السخيمة في القلوب، وبه تزال الخطوب والكروب وبه تحيا النفوس بعد العطب وتصان الحرمات ونعم المطلب، وبه تحفظ الحقوق والثروات وبه يجمع الشمل بعد الشتات، وبه تؤصل المؤدة، وتستدام الصلة بعد القطيعة، ويسهل سبيل التعاون على التقوى والبر، ويتحقق التواصي بالحق والصبر، والدعوة إلى الخير، فما أعظم شأنه وما أعلى مكانه، وما أحسن عاقبته، وما أكرم عائدته وصدق الله العظيم إذ يقول {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}[1] وصدق رسوله الكريم عليه من ربه أكمل الصلاة وأزكى التسليم إذ يقول:«الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلال» أي لا صلحا على ما يخالف الشرع، لأنه لا بد أن يشتمل على معصية لله، أو جور على عباد الله.

عباد الله: لقد أمر الله تعالى بالصلح العادل وجعله قرين التقوى وشرط الإيمان إذ يقول في الكتاب المبين {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[2] ويقول {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[3].

معشر المسلمين: لقد أغراكم ربكم تبارك وتعالى بالإصلاح إذ نبهكم على عظيم ما فيه من الإرباح كما في قول الحق تبارك وتعالى {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}[4] ويقول تبارك اسمه {لَا خَيْرَ

---

(١) (النساء: من الآية ١٢٨).

(٢) (الأنفال: من الآية ١).

(٣) (الحجرات: ١٠).

(٤) (الأعراف من الآية ١٧٠).

فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[1] ويقول سبحانه {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}[2].

معشر المؤمنين: ولقد عد نبيكم صلى الله عليه وسلم الإصلاح بين الناس من جليل الصدقات فقال:«تعدل «أي تصلح» بين اثنين صدقة، وسعى صلى الله عليه وسلم في الإصلاح بين جماعة من أصحابه حتى كادت تفوته الصلاة، وقال صلى الله عليه وسلم:«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً» «أي يبلغ خيرا» أو يقول خيرا»، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء مما يقوله الناس «أي على سبيل التورية بقول ظاهره الكذب وباطنه الصدق» إلا في ثلاث منها الإصلاح بين الناس.

معشر المؤمنين: إن مجالات الإصلاح بين الناس متعددة وكلها من الأهمية بمكان، وقد أشير إلى جملة منها في محكم القرآن وفيما صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم من بيان.

فمن تلك المجالات: الإصلاح عند الجور في الوصية فمتى ما شعرتم بجور أحد من ذويكم وفي وصيته بأن يفضل أحداً من الورثة على الآخر أو يخصه بشيء دون غيره أو يحرمه من حقه فاثنوه عن رأيه واحملوه على أن يعدل عن جوره عملاً بقول الحق سبحانه {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[3] وذكره ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:«اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، ويقول صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»، وحذراً من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يجور في وصيته فيدخل النار».

معشر المؤمنين: ومن مجالات الإصلاح إصلاح ذات البين: أن يغض كل واحد من الزوجين نظره عما قد يحصل من صاحبه من تقصير في حق، أو جفوة طمعاً في صلاح الحال والمآل، ورجاءاً لجزيل المثوبة من ذي الكرم والجلال وقال تعالى {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}[4]، وقال تعالى {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ

---

(١) (النساء: ١١٤).

(٢) (البقرة: من الآية ٢٢٠).

(٣) (البقرة: ١٨٢).

(٤) (النساء: ١٢٩).

خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ}[1] وقال تعالى {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[2]، وقال صلى الله عليه وسلم:«لا يفرك «أي لا يبغض» مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر».

معشر المؤمنين: ومن مجالات الإصلاح بين الناس أنه حينما يدب الخلاف بين الزوجين فيصير شقاقاً يوشك على أن يفضي إلى الافتراق فينبغي أن يسعى أولوا الرشد من ذوي الزوجين أو يحاكم في القضية من المسلمين من بعث حكمين أحدهما من ذوي الزوج والأخر من ذوي الزوجة فمن تتوفر فيهما الكياسة واللباقة في الإنصاف والحرص على الاتفاق وكراهية الفرقة والشقاق فيتوليان مشروع الإصلاح بين الزوجين عملاً بقول الله سبحانه وتعالى {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}[3] وذلك حرصا على التئام الأسرة باستبقاء المودة وتحقيق الألفة، وجمع شمل العائلة ودفعاً لشؤم الفرقة والشتات التي تنشأ عن القطيعة والعداوة والضياع.

عباد الله: تحلوا بالصلاح، واسعوا في الإصلاح فإن ذلكم من أعظم أسباب الفلاح والفوز بعظيم الأرباح أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[4] بارك الله لي ولكم.

---

(١) (النساء: من الآية ١٢٨).

(٢) (الحشر: من الآية ٩).

(٣) (النساء: من الآية ٣٥).

(٤) (النساء: ١١٤).

في الحض على شكر نعمة الله بالغيث والتحذير من أمور جاهلية

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله حق التقوى، واشكروه تعالى على سابغ النعمى ومترادف الآلاء، فإن الله تعالى يحب ويزيد الشاكرين، ويرضى عنهم ولا يحب الكافرين قال تعالى {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}(١)، وقال جل ذكره {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}(٢)، وقال تبارك اسمه {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}(٣).

عباد الله: كم في محكم التنـــزيل وأصدق القيل من آية بينة محكمة تبين فضل وحسن عواقب الشكر، وتنبه على شؤم وسوء عواقب الكفر وتؤكد على أن الشكر عمل مبارك تحفظ به النعم الحاصلة، وتستجلب به النعم الواصلة وأن الكفر شؤم على أهله في العاجلة والآجلة وأنه من أسباب زوال النعم، وحلول النقم ومهلكة للشعوب والأمم فاشكروا الله على نعمه، واستجنوا به من أسباب نقمه {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}(٤)،وقال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(٥)، وقال تعالى {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ}(٦).

معشر المسلمين: يعجب ربكم من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب، فبالأمس القريب كنتم تشكون انحباس المطر وانقطاع القطر وجدب الأرض ظانين بُعد الغيث وما لبثتم إلا أن دعيتم للاستسقاء فاستقيتم فما لبثتم إلا يسيرا حتى سقيتم الغيث عاجل غير رائث ولا ضار، أزال الكرب، وأحسن الظن بالرب فأذهب الغبار، وجلى القتار، وربت به الأرض، وطرى به العود لتعلموا أن ربكم تبارك وتعالى سميع بصير قريب مجيب، غني كريم، جواد عظيم قال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(٧)، وقال سبحانه {وَهُوَ الَّذِي يُنـــزلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ

---

(١) (آل عمران: من الآية ٣٢).

(٢) (إبراهيم: ٧).

(٣) (الزمر: من الآية ٧).

(٤) (سبأ: من الآية ١٥).

(٥) (النحل: ١١٢).

(٦) (الزخرف: ٧٦).

(٧) (البقرة: ١٨٦).

رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}[1]، وقال {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنـــزلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[2].

معشر المؤمنين: إن الذي سمع الشكوى وأجاب الدعاء وقضى الحاجة ورفع البلاء قادر على كسف كل كربة وإزالة أي شدة في سائر الأناء {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ}[3]،{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[4]،{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[5].

أمة الإسلام: إن الاستسقاء بالصلاة والدعاء وتحقيق السقيا بنـــزول الغيث ورفع البلاء فما يرقق القلوب ويزيدها صلة وثقة بعلام الغيوب ويحفزها عن اللهج بالشكر ودوام الذكر ونسبة الفضـــل لذي الفضل ولقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يحضكم على أن تعترفوا لله تعـــالى عنـــد تحقـــق السقيا بنعمته فتقولوا أمطرنا بفضل الله ورحمته وتتبركوا بالمطر فإنه مدين بهذا لربه وأن تتضـــرعوا عند كثرة المطر وخوفه الضرر إلى الله تعالى إلى أن يصرفه عنكم إلى فسح البر قائلين اللهم حوالينـــا ولا علينا اللهم على الضراب والأكام وبطون الأودية ومنابت الشجر.

ألا فاتقوا الله واشكروه على إجابة الدعاء وتحقيق السقيا، واعتبروا بسرعة الإغاثة على قدرة الله تعالى على إجابة كل دعوة صالحة، وقضاء كل حاجة فأنـــزلوا بالله وأخلصوا الدعاء لله ولا تلتفتوا لأحد سواه، واعتبروا بفضله وأقروا له بقدرته وحوله، واستعينوا بنعمته على طاعته ولا تجعلوها سلما لمعصيته، ولا تتشبهوا بالفساق بتعاطي ما ينبت النفاق من الغناء والمزامير وأنواع المناكير فإن ذلكم من تبديل نعمة الله كفرا، ومن الخروج إلى البراري أشراً وبطراً فإن ذلكم من صنيع الكفار المتوعدين بعذاب النار وبئس القرار، ألا ولا تنسبوا نـــزول المطر إلى المنخفضات الجوية ولا إلى الأنواء فإن ذلكم من خصال أهل الجاهلية وإنه كفر وتكذيب وإن الله عليكم شهيد ورقيب

---

(١) (الشورى: ٢٨).

(٢) (الروم: ٢٤).

(٣) (النمل: من الآية ٦٢).

(٤) (غافر: ١٤).

(٥) (الأعراف: ٥٥ – ٥٦).

وحسيب أفلا فاتقوا الله {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[1]. بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم.

(١) البقرة: ٢٨١.

اغتنام الأعمار بأنواع الطاعات ومراعاة ما لها من الأحكام والأوقات

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما، ووسع كل شيء عزة وحكما، أحمده سبحانه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وأشكره جل ذكره على نعم كثيرة غزيرة تترى صباح ومساء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي عظم فرائض العبادة، ووقت مواسم الطاعة ليتمكن العباد من أدائها على أكمل الوجوه إلا المستطاعة.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله أشرف مرسل وأكمل إمام وخير من تعبد لله تعالى بدين الإسلام، وأحسن من أدى شعائره العظام، على وجه الكمال والتمام وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين هم خير الناس بعد المرسلين والنبيين، وأئمة الأمة في الهدى والدين.

أما بعد: عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله وتعظيم ما عظمه الله والعناية بفرائض العبادات، والاهتمام بمواسم الطاعات فإن ذلكم من آيات التقوى، وخصال أولي الأحلام والنهى، ومعالم التيسير لليسرى، والجزاء بالحسنى. وطيب الحياة في الدنيا والأخرى، وأدلة الكتاب والسنة الدالة على فضل ذلكم وعلو شأنه من الكثرة لا تحصى.

أيها المسلمون: لقد كثر في الوحيين التنويه بشأن فرائض العبادات، والحث على أدائه على أكمل الأحوال وأحسن الهيئات، وتحديد مواقيتها بداية ونهاية في الزمن والعلامات وتوجيه همم أولي الألباب للمبادرة إليها والمسارعة إليها قبل الفوات، وبشارة المسارعين إليها ومستبقيها بالسيف المحقق، والفوز بمثوبة ورضوان الرب الحق قال تعالى {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}[1]،وقال صلى الله عليه وسلم:«بادروا بالأعمال فتنا»، وقال صلى الله عليه وسلم:«توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا»، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن أحب العمل إلى الله الصلاة لوقتها «يعني» أول وقتها، وذلكم لأن المبادرة إلى الطاعة عنوان الرغبة في العبادة، واليقين بحسن المثوبة، ولذا بشر الله تعالى المسابقين بالسبق المحقق والفوز بوعد الله الحق قال تعالى {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[2]، وقال تعالى {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[3] وقال تعالى {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي

---

(١) (البقرة: من الآية ١٤٨).

(٢) (المؤمنون: ٦١).

(٣) (الواقعة: ١٠ – ١٢).

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}[1]، وقال تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[2].

معشر المسلمين: لقد جعل الله تعالى الحكيم في شرعه للصلاة مواقيت زمانية، ولتلك المواقيت علامات ظاهرة كونية، يشترك في إدراكها الخاص والعام، ورغب في المحافظة عليها بما رتب عليها من كريم الثواب، وزجر عن تضيعها بما توعد عليه من أليم العقاب، وعين تبارك وتعالى الأموال الزكوية، وحدد شروطها وأنصبتها في الأموال الظاهرة والخفية، وأوضح مقاديرها وجلى تيسيرها، وبين أهلها، ويمن إعطائها وشؤم جحودها أو منعها بنصوص محكمة جلية.

معشر المؤمنين: وكذلكم الصوم جعل الله سبحانه شهرا معلوما من السنة، وبين بدايته ونهايته بصريح السن، وأنها تتحقق برؤية هلال الشهر اللاحق، أو إكمال عدة الشهر السابق، وحدد بداية ونهاية صوم كل يوم، وما يصام عنه وما يفطر عليه وسنن ذلك دلالة على البر وزجراً عن الإثم وهكذا الحج أشهر معلومة، وأيام مناسكه محدودة، ومشاعره معلمه، وشعائره بينة معظمة، مع الإشارة إلى كريم ثوابه وجليل منافعه.

أمة الإسلام: وهكذا جملة أمور الدين ظاهره المعلم، جلية الأحكام والحكم، وما اشتبه أمره فيتوقف فيه حتى يعلم كما في الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم:«إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات إستبرأ لدينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، ومن القواعد المقررة في الشريعة أن الأصل في الاشياء الحل والإباحة، فلا يحرم شيء ولا يمنع من شيء إلا بحجة شرعية قطعية وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فإذا تزاحمت المصالح فوتت أدناها لتحصيل أعلاها، وإذا تزاحمت المفاسد أرتكب أخفها إتقاءً لأثقلها، وهكذا جاءت الشريعة بحفظ الضرورات الخمس الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فكل وسيلة تحفظ واحدة من هذه الضرورات فهي مأمور بها وكل وسيلة تضر بواحدة من هذه الأمور فهي منهي عنها.

معشر المؤمنين: كل هذه المعالم للعبادات والضوابط للمعاملات والحدود للمنهيات من أجل أن ينتفع من العمر، وأن يعبد الله تعالى على وفق ما شرع وأمر، وأن يبتعد عن ما نهى الله عنه وجر مع

---

(١) (آل عمران: ١٣٦).

(٢) (التوبة: ٧٢).

الإخلاص لله عز وجل، وحسن الإتباع والتأسي بالنبي المرسل، أخذا بأسباب الفلاح، وسعياً لتحصيل جليل الأرباح، مطلبا لحسن العقبى والسعادة في الدنيا والأخرى.

معاشر المؤمنين: أعمروا أوقاتكم بالطاعة واغتنموا مواسم الخير والبر بأربح البضاعة وقفوا عند الحدود، وأخلصوا للإله الحق المعبود وتذكروا أن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا فخيركم من طال عمره وحسن عمله، وليس للعمل انقطاع دون الموت قال تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[1]،بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

(١) (الحجر: ٩٩).

حقيقة دين الإسلام ومحاسنه

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا إله حق غيره ولا رب سواه أحمده سبحانه أمر أن لا تعبدوا إلا إياه وأشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من عذابه والفوز برضاه وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه الذي ختم به الله به النبوة وقطع الرسالة وبعثه بشريعة عامة إلى أن يأتي أمر الله فلا يقبل من العباد غير دينه وهداه صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين وخلفائه الأئمة المهتدين، وصحابته الذين هم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلاة وسلام تامان أكملان باقيان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله واشكروه على أن هداكم لما بعث به نبيه ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من دينه وهداه، فإن لله المنة العظمى أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين، وإن الله تعالى قد أتاكم به من الخير في العاجلة والآجلة ما لم يؤته أمة من العالمين غير المسلمين، فيه كنتم خير أمة للناس، وكنتم الشهداء، على الناس، وبه كنتم السابقين يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق، وكنتم خير وأكرم على الله من سبعين أمة توفونها يوم القيامة، وبه كنتم أول من يجوز الصراط وأول من يدخل الجنة، وأكثر أهل الجنة وبه منالون عظيم الأجور، ورفيع الدرجات وكم لكم فيه من الخير الكثير، والأجر الكبير والعفو عن الوزير الخطير، وكم لكم به عند الله تعالى من كرامة، وذخر وعقبى يوم القيامة.

أيها الناس: اعلموا أن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، فاحمدوا الله على ما هداكم واشكروه على كريم وعظيم ما أعطاكم وأولاكم، ولا تستقلوا وتستهينوا بنعم الله عليكم فتسلب منكم وتعطى سواكم فإن الله تعالى قد قال {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}[1]، وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ}[2]،فما أبلغ الموعظة وما أخطر العقوبة على جحود النعمة، فإنها كلما عظمت النعمة عظمت العقوبة على الكفر

---

(١) (محمد: من الآية ٣٨).

(٢) (إبراهيم: ٢٨ – ٢٩).

والجحود فاشكروا الله على ما خصكم وأطيعوه فيما أمركم واحذروا ما حذركم وزجركم تحفظوا نعمكم وتزدادوا فضلاً فيما أمركم وأمنة من عقوبة تفاجئكم.

أيها الناس: إن الدين الحق العظيم هو دين الإسلام السمح السهل المبارك العاقبة الكريم الأثر دنيا وآخرة. فأصله وأساسه وشرط قبوله اعتقاد أن لا معبود بحق إلا الله كما أنه لا خالق ولا رب ولا مدبر سواه، وهو ذو الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وهذا الاعتقاد لا بد له من أمور:

أحدهما: قول لا إله إلا الله والإكثار من ذكر الله تعالى ثناءاً ودعاءاً.

الثاني: الذل والخضوع لله تعالى ورهبة ومحبة وخوفاً، بحيث ينقاد المرء لامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه طواعية وحسية طمعاً في الثواب وحذراً من العقاب.

أما الثالث: أيها الناس فهو الكفر بكل معبود سوى الله، والبراءة وكل عبادة لغير الله، ذلك بأن الله هو الحق وما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل.

معشر المسلمين: أما عمود دينكم فهو إقامة الصلاة لله تعالى كما أمر فلا خير في دين لا ينبني على الصلاة في جحدها فقد كفر وإنها فرقاً ما بين المؤمنين والكافرين، فمن صلى لله كما أمر فهو من إتباع محمد صلى الله عليه وسلم سيد البشر ومن امتنع عن الصلاة فقد أبى عن الدين وأعلن إتباعه لإبليس اللعين {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[1].

عباد الله: وأما بقية أركان الإسلام فهي مبانيه العظام، وتوحيد للملك القدوس السلام، فكما أن الصلاة توحيد لله تعالى بالأقوال والأفعال فإن الزكاة توحيد لله تعالى بالأموال، والصوم توحيد له بالإمساك عن الشهوات والمحاب، والحج توحيد عام لرب الأرباب، في أيام نسك حرام ومشاعر عظام وهو أظهر جميع لأهل الإسلام، يشترك فيه الخاص والعام من أهل الإسلام.

أمة الإسلام: وأما أصول الإيمان فهي أمور علمية اعتقادية وتصديق لمسلمات عينية فأسسها الإيمان بالغيب، للرب عز وجل، واتباع للنبي المرسل، ثم الإحسان في القصد والقول والعمل وبهذا يتحقق مراتب الدين، التي يتعبد بها لرب العالمين، طلباً للسعادة في الدارين فاتقوا الله عباد الله، واشكروا نعم الله عليكم بهذا الدين وتفضيلكم به على العالمين وما وعدكم عليه من كريم الثواب

---

(١) (المجادلة: ١٩).

يوم الدين واغتبطوا بفضل الله عليكم واشكروا إحسانه إليكم واعملوا به لله واهدوا إليه من استطعتم من عباد الله تكونوا من المحسنين.

حقيقة دين الإسلام ومحاسنه

الخطبة الثانية

الحمد لله الإله الحق الذي لا إله حق غيره ولا معبود بحق سواه، أحمده سبحانه على حكمته في تدبيره ويسره في شرعه وسنته بهداه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر أن لا نعبد إلا إياه، ونهاكم أن تجعلوا له أنداداً تحبونهم كحب الله وأشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه المبعوث بالملة الإبراهيمية والشرعة المحمدية العالمية ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وقرابته الطيبين الطاهرين وخلفائه الراشدين وبقية صحابته المهديين الذين هم خير أتباع النبيين والمرسلين صلاة وسلاما تامين كاملين باقيين إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تفلحوا، وأطيعوه تهتدوا، واشكروه تزادوا وترزقوا، ولا تكفروه فتعاقبوا وتهلكوا وتخسروا وتشقوا في الدنيا ويوم تحشروا.

أيها المسلمون تذكروا أن الله تعالى قد آتاكم ما لم يؤته أكثر العالمين إذ هداكم للإيمان به وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم إن كنتم صادقين، فاصطفا لكم الدين وفضلكم به على العالمين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله: إن الله تعالى فضلكم بدين الإسلام على الناس، فجعلكم خير أمة أخرجت للناس، وجعلكم الشهداء على الناس وأنتم السابقون يوم القيامة، المقضى بينهم قبل الخلائق، وأكرم من سبعين أمة على الرب الخالق، وأنتم أول من يجوز الصراط، وأول من يدخل الجنة وأكثر أهل الجنة، وكم لكم في الإسلم من أجر كبير وعفو عن ذنب كبير وكثير، وخير وفير، وكم لكم من متنوع الكرامة، وعظيم الذخر وحسن العقبى في الدنيا ويوم القيامة.

في العبرة والاعتبار

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى في سائر الأحوال والأوقات، واعتبروا بما جعله لكم من الآيات البينات، الدالة على تفرده سبحانه في الخلق والملك والتدبير، والبرء والتصوير، وأن له تعالى الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، والأفعال الحكيمة الجلي، والنعم والآلاء، التي لا تحصر ولا تستقصى، فضلاً عن أن تعد أو تحصى، وأنه تعالى هو الإله الحق، المعبود بالحق، الذي لا تنبغي الإلهية إلا له ولا تصلح العبادة إلا له، فلا يستحقهما أحد سواه، كائناً من كان، ذلكم بأن الله تعالى هو الملك الكبير، الذي هو على كل شيء قدير، هو الغني الحميد وكل من سواه إليه فقير، الذي أحاط بكل شيء علما، ووسع كل شيء عزة وحكما، ذو الرحمة الواسعة، والحكمة البالغة، والحجة الدامغة، وكل يوم هو في شأن ولا يشغله سبحانه شأن عن شأن لأنه ذو العز والعظمة والملك الكبير والسلطان النافذ التدبير والتيسير، منه ابتداء الخلق وإليه المصير، وهو المدير للخلق والملك ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير.

عباد الله: العبرة والاعتبار من منهاج أولي الألباب، المثنى عليهم به في محكم الكتاب، فالعبرة كالموعظة مما يتعظ به العاقل ويعمل به فيستدل به على غيره، فيعتبر بكل ما يرى، وما مضى، فيتفكر ويتدبر طلباً للهدى ويستدل على ما غاب بما حضر، ليدرك أن لله تعالى حكماً عظيمة، في خلقه ورزقه، وتغييره، وتدبيره، وأمره ونهيه، وقضائه وجزائه فيترقى من علم أدنى إلى علم أعلى، ويتجاوز العدوة الدنيا إلى العدوة الأخرى حتى يرى أن الدنيا للفناء، وأهلها للموت والبلى، وأن كل ما عليها للخراب، وأن أهلها صائرون للتراب ثم يبعثون للثواب والعقاب، وأن الله تعالى قد جعل الدنيا وما فيها من الآيات، والمأمورات، والمنهيات، والسكون والحركات، وإدالة أيامها على المكلفين وغيرهم من المخلوقات، ليتجلى لأولي الألباب تفرده سبحانه بالملك والتدبير، كما انفرد في الخلق والبرء والتصوير، وأنه تعالى هو الملك الحق، الذي يجب أن يعبد بالحق، وأن ينزه عن أن

يجعل له سمي أو مثل أو شرك أو ند من الخلق وليتجلى للخلق فضله على أوليائه في ثوابه وعدله تعالى فيمن سواهم في حكمه وعقابه.

أيها المسلمون: كم في التنزيل من الآيات البينات المحكمات، الهادية لأولى الألباب، إلى الاعتبار والعبرة فيما حولهم من المخلوقات، وتدبير الله تعالى في ملكه في مختلف الأوقات، ليهتدوا إلى تقوى رب العالمين، وطاعته مخلصين له الدين، وأن لا يغتروا بالحياة الدنيا وما فيها من المتع والأموال، فتلهيهم الآمال، عن الآجال، وقواطع الأعمال، قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[١] وقال جل ذكره {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[٢] وقال عز اسمه {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}[٣] وقال تبارك وتعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}[٤].

أيها المؤمنون: ولقد أكثر تعالى من ذكر أخبار الماضين، من المؤمنين الشاكرين والكافرين الجاحدين، وكيف داول الله تعالى بينهم الأيام ونفذ فيهم ما قدره بحكمة وإحكام وتبصره للمؤمنين وأظهر الإسلام وأخذ المكذبين بعزيز الانتقام وقال في بيان حُكمه ذلك {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٥] وقال تعالى عن فرعون {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى}[٦] ولما ذكر تعالى في سورة الشعراء جملة من الأمم المشتهرة بالكفر والتكذيب اغتراراً بالحياة الدنيا، وإعراضاً عن الهدى، وأمر الأخرى، ختم سبحانه كل قصة أمة بما حل بها من العقوبة العاجلة بقوله تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

---

(١) (فاطر: ٥ – ٦).

(٢) (آل عمران: ١٩٠).

(٣) (النور: ٤٤).

(٤) (الفرقان: ٦٢).

(٥) (يوسف: ١١١).

(٦) (النازعات: ٢٤ – ٢٦).

مُؤْمِنِينَ}[1] يعني موعظة للمخاطبين، ومن يأتي بعدهم من اللاحقين، حتى لا يأخذوا بجرائم الهالكين فيعاقبوا مثل عقوبتهم في الدارين.

أمة الإسلام: ومما صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم من النصح والبيان أنه صلى الله عليه وسلم ذكر بني إسرائيل وما حل بهم من عقوبة في قوله تعالى {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[2].

قال:«كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليخالفن الله بين قلوبكم ثم ليلعنكم كما لعنهم» الحديث، وقال صلى الله عليه وسلم:«إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ قول الله تعالى {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}[3]».

أمة الإسلام: وهكذا من تأمل ما في هذا الخلق العظيم من الآيات، وما يجريه الله تعالى في ملكه من الحادثات، وما ينتهي إليه أمر المخلوقات في هذه الحياة، انتفع بهذه الفكرة، واستنبط منها أبلغ عبرة، ومن ذلك أن أمر الحياة الدنيا، والأحياء فيها لا يدوم، وأن المصير إلى الحي القيوم، فينقل الأحياء من الدنيا إلى الأخرى ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فيتجلى للخليقة فضل الله تعالى على من يشاء وعدله فيمن يشاء وأن الغاية من هذه الحياة وما فيها من أنواع الابتلاء أن يميز الله تعالى تمييزاً مشهوداً به من الخلق، منهم أهل لمجاورته في دار كرامته، لتحقيقهم لمحبته وولايته ممن هم أهل لهوانه ونكاله، لإعراضهم عن علم وعمد عن أسباب هدايته، وإصرارهم عن علم وعمد على موجبات بغضه وعداوته، فاعتبروا يا أولي الأبصار، بتعاقب الليل والنهار، وتصرم الشهور والأعوام والأعمار، وما جعل الله تعالى في السموات والأرض من آيات موجبة للاعتبار، لتأخذوا من ذلك عظة تنجون بها من النار، وتفوزون بها بجنات تجري من تحتها الأنهار.

---

(١) (الشعراء: ٨).

(٢) (المائدة: ٧٨ – ٧٩).

(٣) (هود: ١٠٢).

الخطبة الثانية

عباد الله: إن المسلم العاقل يدرك أن كل يوم يمضي عليه، فهو نقصان من عمره، وقرب من قبره، وبعد عن أمله، ووشيك بانقطاع عمله، لذا فإنه يدرك أن من مصلحته أن يهتم بأداء الفرائض على وجه حسن يكملها بما تيسر من السنن، حتى يعوض نقصان العمر بتكميل العمل الذي هو أحب شيء إلى الله عز وجل، فإن التقرب إلى الله تعالى بالنوافل مع الفرائض يثمر ولاية الله تعالى ومحبته، وحسن مثوبته وكرامته، ومغفرة زلته والعفو عن خطيئته، ويهيئ العبد لأن يلقى الله تعالى على أحسن أحواله وأصلح أعماله، وتكمل البشرى بحسن الختام، والفوات على الإسلام. ومهما عاش المرء وهو على تلك الحال فإنه لن يزداد إلا خيراً لقوله صلى الله عليه وسلم «خيركم من طال عمره وحسن عمله، وقوله المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا».

المسئولية وخطر تبعتها

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله ربكم وقوموا بمسئولياتكم تجاه أنفسكم وتجاه غيركم فإن مسئولياتكم من أمانتكم التي أمرتم بحفظها وأدائها ونهيتم عن التفريط فيها وخيانتها قال تعالى {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}[1] الآيات إلى قوله تعالى {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[2] وقال سبحانه {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}[3] وقال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[4]،وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»، فأدوا أماناتكم وقوموا بمسئولياتكم عبادة لربكم تفلحوا وتربحوا وتؤجرا وتنصروا.

عباد الله: المسئولية هي كون المرء مكلفا «أي مستعملا من غيره» بأن يقوم ببعض الأمور لغيره فيما يتعلق بنفسه وما يتعلق بسواه مما يكلف به بحيث يكون محتملاً لتبعات مسئوليته فيكون أهلاً للثواب على الإخلاص والإحسان في وظيفته ومحلاً للعقاب على تفريطه وإضاعته، أي صالحاً للثناء والشكر وحسن الجزاء أو الذم والمؤاخذة وسوء الجزاء على أعماله وما لزماً بتبعاتها المختلفة قال تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[5] وقال سبحانه {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ}[6] وقال سبحانه {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[7]، وقال سبحانه {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}[8].

أيها المسلمون: جماع هذه المسئولية أن يسأل المكلف في قبره ويوم حشره ونشره عن ثلاثة أمور:

---

(١) (المؤمنون: ٨).

(٢) (المؤمنون: ١٠ – ١١).

(٣) (النساء: من الآية ٥٨).

(٤) (الأنفال: ٢٧).

(٥) (الحجر: ٩٢ – ٩٣).

(٦) (الأعراف: ٦ – ٧).

(٧) (الزلزلة: ٧ – ٨).

(٨) (آل عمران: من الآية ٣٠).

الأول: عن ربه تبارك وتعالى وأداء حقه إليه فيقال: من ربك أو ماذا كنت تعبد، سؤال عن علمه واعتقاده وقوله بإفراد الله تعالى بالإلهية ومستحقات العبادة وحده وإخلاص العبادة له وجوابه الحق أن يقول ربي الله أو أعبد الله وحده أو يقول لا إله إلا الله.

أيها المسلمون: أما السؤال الثاني فهو عن الدين الحق وعن الاستقامة عليه في الحياة حتى الممات فيقال للمكلف ما دينك أو ما كنت تعمل وجوابه الحق أن يقول ديني الإسلام.

وأما الأمر الثالث «عباد الله» الذي يسأل عنه فهو عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أي عن الاعتقاد بنبوته ورسالته ووجوب محبته واتباعه وطاعته والتمسك بسنته.

فيقال: من نبيك أو ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم أو ماذا أجبتم المرسلين وجوابه الحق أن يقول المسئول هو محمد عبد الله ورسوله أو أشهد أن محمد عبده ورسوله.

معشر المسلمين: وإنما يكون التثبيت والإضلال عند هذا السؤال بعد الممات على حسب ما كان عليه المرء من العلم والاعتقاد والقول والعمل حال الحياة كما قال تعالى {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}(١).

معشر المؤمنين: وهناك مسئوليات جزئية يسأل عنها المكلف فيما يتعلق بولايته على غيره وحق غيره وعمله بهذه الولاية هو كسبه فما أحسن فيه فله خيره وما أساء فيه فعليه وزره فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«كلكم راعي وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، قال وسيدته، قال والرجل راعٍ في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته» متفق عليه.

وفي الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» وفي السنن بإسناد حسن عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«من ولاه الله شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره»، وفي صحيح مسلم رحمه الله عن عدي بن عميرة الكندي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«ما من عبد استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة».

---

(١) (إبراهيم: ٢٧).

أيها المؤمنون: ومما وردت المسئولية عنه بخصوصه ما ورد في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن ثوبه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه». ومن السؤال عن العمر قوله تعالى {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ}[1] وكم من نعمة يسأل عنها الجاحد المعاند حتى يقال له ألم نصح لك جسمك ونسقك من الماء البارد، ولما أكل النبي صلى الله عليه وسلم هو وبعض أصحابه عند أحد الأنصار رطباً ولحماً وشربوا ماءاً قال صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي ستسألون عنه يشير إلى قوله تعالى {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}[2].

ألا فأعدوا «عباد الله» للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا.

---

(١) (فاطر: من الآية ٣٧).

(٢) (التكاثر: ٨).

سوء الظن حقيقته وخطره

الخطبة الأولى

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تفلحوا وأحسنوا الظن بالله سبحانه تربحوا ولا تسيئوا الظن بالله فتشقوا وتخسروا فإنه يقال لأهل سوء الظن بالله تعالى {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(١).

عباد الله: إن حسن الظن بالله تعالى من خصال المؤمنين وموجبات السعادة والفلاح وكريم الأرباح في الدارين، وإن سوء الظن بالله تعالى من خصال الجاهلين، وعظائم المنافقين كما قال تعالى {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا}(٢).

عباد الله: حقيقة الظن، هو تغليب الظان جانب الشر في المظنون به أي تهمته بقصد الشر بغيره وتدبيره لتحقيقه فيه فسوء الظن كبيرة من كبائر القلوب وعظيمة من عظائم الذنوب، كيف لا وهو سوء ظن بالله تعالى علام الغيوب ومعصية له سبحانه في حق عباده.

معشر المسلمين: سوء الظن مرض من أخطر أمراض القلوب التي من لقي الله تعالى بها لم يلقه بقلب سليم، وهو أخطر من الزنا والسرقة وشرب الخمر مع عظم خطرها وكبر إثمها، وشناعة جرمها، ذلكم لأن سوء الظن من كبائر القلوب التي مبناها على إتباع الهوى، والحكم بالشبهات، وأمراض القلوب مشؤمة الأثر عظيمة المفاسد لأن آثارها تدوم فتصبح حالاً وهيئة راسخة في القلب فتفسده وإذا فسد القلب فسد الجسد كله لأنه بفساد القلب تفسد النية والقصد ويخبث القول، ويقبح الفعل، ويسوء الأثر فما أعظم الخطر.

معشر المسلمين: أقبح وأخطر سوء الظن، سوء الظن بالله تعالى فإنه أعظم جرماً وأكبر إثما وهو أثر من اليأس من روح الله الذي هو من خصال الكافرين، وأشنع من القنوط من رحمته الله تعالى هي من أسباب خسارة الخاسرين ذلكم لأن سوء الظن بالله تعالى يأس، وقنوط وزيادة، لأن سيء الظن بالله تعالى يجوز على الله تعالى أشياء لا تليق بكرمه وجوده ورحمته وعدله وحكمته ولذلكم ذم الله تعالى {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ}، وقال متهدداً ومتوعداً لهم {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ

---

(١) (فصلت: ٢٣).

(٢) (الفتح: ١٢).

عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[1]، وقال سبحانه {فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}[2].

أمة الإسلام: وسوء الظن بالمسلم من سوء الظن الذي هو جرم وإثم لأنه حكم على الضمائر والنيات وأمور القلوب مما اختص الله تعالى بالعلم به فالذي يحكم على سرائر الناس وما أكنته ضمائرهم قد ضاها الله تعالى في شأنه ونازعه فيما هو من ملكه وسلطانه، فهذا وجه من وجوه شؤم سوء الظن بالناس وعظم إثمه وأما الوجه الآخر فهو أن من حكم على أخيه بقصد الشر به أو بغيره وسعيه في تحقيقه فإنه بحمله الشيطان على احتقاره والتقصير في حقوقه والوقيعة في عرضه بالغيبة والبهتان وكل هذه مهلكات لمن لم يتب منها في الدنيا والآخرة فكل من رأيتموه سيء الظن بالناس بالظن الكاذب وحكم الهوى فاعلموا أن ذلك من آثار خبث باطنه وسوء طويته فإن المؤمن يلتمس لأخيه المعاذير فيما يبدو له من سوء تصرفه وينصحه فيما بينه وبينه رحمة به وشفقة عليه وطلباً لمثوبة الله تعالى في أداء حقه إليه، وأما المنافق فإنه يعامل الآخرين بكشف عيوبهم والافتراء عليهم لخبث طويته وفساد نيته وكل إناء بما فيه ينضح ومن تجرأ على الله تعالى فيما هو من حقه واختصاصه فما أجرأه أن يتجرأ على الخلق بجرمه وفظاعته.

أيها المؤمنون: سوء الظن ليس هو الخواطر السيئة التي تمر على القلب فتعبر ولا تضر، وإنما الخواطر الخطيرة التي تستقر في القلوب فيتكلم بها المرء بلسانه ويعمل بمقتضاه بقلبه وأركانه، ويتعدى ضررها إلى من قد أساء به الظن من إخوانه حتى يتعدى ذلك إلى التجسس على إخوانه حتى يظهر ما وجد من العيوب، ويفتري عليهم الكذب إن لم يحظى بالمطلوب لمرض قلبه وحسده واعتراضه على قسمة ربه فاتقوا «عباد الله» سوء الظن فإنه شقاء في الدنيا ويردي في النار في الأخرى وصدق الله العظيم إذ يقول {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}[3].. في القرآن.

---

(١) (الفتح: من الآية ٦).

(٢) (فصلت: ٢٤).

(٣) (الليل ١٤ – ١٧).

علو الهمة بأداء فرائض الطاعات والتقرب إلى الله ثم التكميل بالنوافل

الحمد لله ذي الأسماء الحسنى والصفات العلا، أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه بملأ الأرض والسماء وما بينهما وغيرهما مما يشاء، وأشكره على نعم سابغة مترادفة تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا أن لا نعبدّ إلا إياه فأخلصوا له الدعاء والقصد واستعينوا به على الحاجة وأحسنوا به الظن أن يبلغكم كريم الغاية وعلي المنزلة فإن تلكم معالم توحيد الله. وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه المرسل بأن يوحد الله وتكسر الأوثان وتوصل الرحم، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أئمة مستبقي الخيرات والمسارعين إلى المغفرة والجنان، الفائزين بعلي المقامات ورفيع الدرجات.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله واغتنموا مهلة الآجال فيما يقربكم إلى الله فإن الحياة أمد محدود ونفس معدود ثم تفضون إلى الله، فريق في الجنة وفريق في السعير، وشتان ما بين الفريقين في المآل والمصير {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ}(١) وقال تعالى {وَالَّذِيْنَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ}(٢) وقال تعالى {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}(٣).

عباد الله: فرق بين الفريقين أن أهل الإيمان اهتدوا بهدى الله وتأسوا بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه فحققوا وظيفة العبودية لله التي هي أكرم وظيفة في الدنيا وأعظم سبب تتحقق به السعادة وطيب الحياة وحسن الجزاء في الأخرى وأما أهل الكفر والإلحاد فأعرضوا عن هدى الله واستنكفوا أن يتبعوا رسوله الذي أرسله الله بدينه وهداه فاتبعوا الشيطان والهوى وتردوا في دركات الضلال والشقاء فعاشوا عيشة الضنك في الدنيا وباءُوا بالخسران والهلاك في الأخرى وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم قيله {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) (البروج: ١١).

(٢) (فاطر: ٣٦).

(٣) (الحشر: ٢٠).

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ}[1].

فالطمع وعلو الهمة «أيها المؤمنون» ينـــزعان بالعاقل إلى معالي الأمور وطلب علي الدرجات وسامي المقامات في الدنيا والأخرى، ويعملان على تغيير حاله إلى ما هو أنفع وأسمى، وكلما نال مرتبة تطلع وأخذ بأسباب ما فوقها ولا يزال المرء المؤمن بالله واليوم الآخر معتنياً بالأعمال التي ترفع مقامه عند الله تعالى حتى يكون رفيقاً لخيار الخلق ومجاور ربي الحق لاستقامته على طاعة الله مدة الحياة قال تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}[2] وقال سبحانه {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}[3].

أمة الإسلام: ولقد قعد دنو الهمة والإعراض عن آيات الله في الأنفس والآفاق والإجلاء إلى الأرض بأهله حتى جعلهم أسرى للشيطان، جديرين بكل خيبة وخسران وأعظم الخسران الحجاب عن الله والتردي في دركات السراب {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}[4]، وقال تعالى {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[5]، وقال تبارك اسمه {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}[6]، وقال تعالى {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ

---

(١) (يونس: ٧ – ١٠).

(٢) (النساء: ٧٠).

(٣) (القمر: ٥٤ – ٥٥).

(٤) (المطففين: ١٤ – ١٧).

(٥) (المجادلة: ١٩).

(٦) (الحشر: ١٦ – ١٧).

الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}[1].

أمة الإسلام: إن الطموح وعلو الهمة يحملان صاحبهما إلى تطلب المعالي واختيار أفضل وأشرف الوسائل، وسلوك أقوم السبل لبلوغ الغاية وأهل الإسلام بحمد الله قد كفاهم الله المئونة، ويسر عليهم الكلفة وأعظم لهم المثوبة فدلَّكم تبارك وتعالى في كتابه العظيم وسنة نبيه الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم على أصول البر وخصال العمل الصالح ورغبهم فيها ببيان ما فيها من الحكم والمصالح وما رتب عليها من المتجر الرابح ونهاهم عن القبائح ونهيهم على ما في ارتكاب من الفضائح والخسران والشقاء والهوان والعذاب والخزي يوم المعاد وحشر للعباد هداية إلى الحق والصواب وتذكرة لأولي الألباب.

معشر المسلمين: إن المؤمن بالله ولقائه عالي الهمة سامي الهدف ولذا يغتنم كل حالة من حالاته ولحظة من لحظات عمره فيما يقربه إلى الله تعالى ويرفع درجته عنده ويحصل به مغفرته ورحمته مهتدياً بالقرآن وبما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من بيان فيخلص التوحيد ويحافظ على الصلوات المكتوبات ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحج ويعتمر ويجاهد ويصبر ويصل الرحم ولو قطعت ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويعطي كل ذي حق حقه فيفعل الخير ويعين على البر وييسر ولا يعسر ويقول الكلمة الطيبة ويجود بالصدقة والنفقة ولو بالتمرة فإن الله تعالى يقبلها ويربيها لصاحبها حتى تكون كالجبل العظيم ويلهج بالباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها غراس في الجنة وفيها تبنى قصور الجنة ويرحم البهيمة حتى يسقى الكلب من العطش لأنه من أسباب المغفرة ويميط الأذى عن الطريق فإنه سبب لدخول الجنة ويصدق في بيعه وينصح لكل مسلم وخاصة من استنصحه ويحسن إلى أصحابه وجيرانه ويهدي لإخوانه ويحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم من الشر كما يكرهه لنفسه.

---

(١) (إبراهيم: ٢٢ – ٢٣).

في مفاتيح الخير ومفاتيح الشر

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي يفتح الحق وهو العليم، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعد فهو العزيز الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[1]،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المرسل والإمام المكمل وخير من استفتح ربه أبواب الرحمة والفضل وأتاه الله فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوائله وآخره صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين فتح الله على قلوبهم بالعلم والإيمان وفتح بهم القلوب والأوطان حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله الملك الديان.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن الرب جل وعلا هو الفتاح العليم، الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه بفضله ورحمته ويفتح على أعدائه العاصين أسباب عقوبته ونقمة بعدله وحكمته وعزته بحكمه الديني ما تضمنته.

عباد الله: إن الله تعالى فتح كتبه وبينه رسله عليهم الصلاة والسلام من شرائع دينه ما وصفه بأنه الصراط المستقيم، ويوصل من استقام عليه إلى جنات النعيم المنحن أهله من كان الجحيم وهو تعالى قد فتح الفتح المبين بين أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم وبين مخالفيهم وأعدائهم حيث أكرم تعالى أوليائه بنصره وتثبيته وهداه وجوده ومنه سابغ نعماه وفتح على أعدائه وأعداء أوليائه أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الـــذين ظلمـــوا والحمد لله رب العالمين.

عباد الله: وأما فتح الله وإن الله تعالى هو المفتاح الذي فتح بقدره بين خلقه فقد رما بعين من خير وشر ونفع وضر، وعطاء ومنع كما فضلاً منه وعدلا، وهو تعالى يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[2] فهو تعالى الذي يفتح لعباده منافع الدنيا والدين فيفتح لمن اختصهم بلطفه أقفال القلوب، ويلقي فيها من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما يملأها من محبة وخشية وتعظيم علام الغيوب.

---

(١) (الأنعام: ٥٩).

(٢) (فاطر: ٢).

وهو جل ذكره الذي يفتح لعباده أبواب الأرزاق وسبل الخيرات، ويوالي عليهم البشارات بأنواع المسرات، فيرزقهم من حيث يحتسبون، ويعطيهم من الخير فوق ما يؤملون ويصرف عنهم من السوء والشرور فوق ما يحذرون وما لا يعلمون، ويثيبهم على اليسير من العمل الصالح مـــا لا يتوقعـــون ويستر عليهم من الفضائح ويتوب عليهم من القبائح ما كانوا منه يخافون.

يا عباد الله: هو الفتاح العليم الحكيم الحكم العدل الجواد العظيم نافذ القضاء موصل العطاء فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا معترض على أمره وإعطائه.

أيها المسلمون: إن من أيسر أسباب تحصيل المراد، وأنفع أبواب العلم للعباد، معرفة المفاتيح «أي الآلات التي تفتح بها الأشياء الحسية أو المعنوية» فإنه ما من مطلوب إلا وله باب فيه يدخل ومفتاح به يفتح المقفل، فأولاً: معرفة الباب ثم تحري المفتاح لتحري الأبواب، ومعرفة مفاتيحهـــا واختيـــار مفاتيح الخير وفتح أبوابها وتجنب أبواب الشر وتركها على إغلاقها حصل له البر بحذافيره، وسلم من الشر وشياطينه، فإذا بالخير والبر واتقى الإثم والشؤم فكان مباركاً على نفسه وذويه، مسلماً مـــن الشر والدعاة إليه.

معشر المسلمين: إن أعظم مفاتيح وأنفعها للعبد دنيا وأخرى شـــهادة أن لا إلـــه إلا الله كلمـــة التقوى، والعروة الوثقى، فإنها تمام المنة، ومفتاح الجنة، لمن قال لا إله إلا الله وعلم لا معبود بحق إلا الله، وأخلص عبادته لله، وبرئ من كل معبود سوى الله، ومن كل عبادة لغير الله، فهي إنما تنفع من قالها عن علم بها وأدى حقها وفرضها وبرئ مما يبطلها وينقضها فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما مفتاح الجنة فقال لا إله إلا الله وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:«مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما قال:«ما منكم أحد يتوضـــأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحـــت لـــه أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلـــه إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» وفيه عنه رضـــي الله عنـــه أيضاً قال:«من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة».

أيها المؤمنون: وكما أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة فكل خصلة من خصال لا إلـــه إلا الله وهـــي الأعمال التي تدخل بها الجنة إلا لها مفتاح كذلك وإنما يوفق لها من العباد من طاب اعتقاده ولفظه، وعظم من التوفيق والخير حظه، فمفتاح الصلاة الطهور، ومفتاح الصدقة غنى النفس والبعد عن المن

والأذى، ومفتاح الصوم حسن الإمساك، ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق، ومفتاح العلم حسن الإصغاء وحسن السؤال، ومفتاح النصر الظفر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة والعطاء الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله تعالى إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له سبحانه في الحب والبغض، والفعل والترك.

معشر المؤمنين: مفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن وترك الذنوب والاستغفار بالأسحار، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والإحسان إلى الخلق ومفتاح الرزق السعي مع صدق التوكل، والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله فأرغبوا إلى ربكم، واطلبوا الفلاح في آخرتكم، تفتح لكم أبواب الخير، وتوصد عنكم أبواب الشر في عاجل أمركم وآجله.

الخطبة الثانية

أما بعد: فيا عباد الله: اتقوا الله وتحروا أبواب الخير، وافتحوها بمفاتيحها، واحذروا أبواب الشر ومفاتيحها، فإن كما أن للخير أبوابا ومفاتيح فإن للشر أبواباً ومفاتيح من أخذها وعيت بها انفتحت عليه أبواب الشر، وحيل بينه وبين الخير، ومفاتيح الشر كثيرة وشهيرة فالخمرة مفتاح الإثم، والغناء مفتاح الزنا، والكذب مفتاح النفاق، والغلو مفتاح الشرك، والابتداع مفتاح الكفر، وتلقي شبهات عن اليهود والنصارى وأهل الأهواء مفتاح الردة، والربا مفتاح للفقر، والغيبة والنميمة مفتاح فساد ذات البين والكبائر مفاتيح النار.

التحذير من البدع وبيان شؤمها

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، أحمده سبحانه على ما أصبح وأمسى بنا من نعمه وبأحد من الخلق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فهو وحده الإله الحق المعبود بالحق.

وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله الواجب الطاعة مطلقا والاتباع من الخلق صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين هم أعلم الأمة بما جاء به من الحق.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى تفلحوا واستقيموا كما أمرتم تسعدوا وتأمنوا وتربحوا واعلموا أن أحسن الحديث وأصدقه كتاب الله، وأن خير الهدى وأكمله وأجمله هدي نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه، وأن شر الأمور محدثاتها لأنها ضلالة عن حق الله، وشؤم وشقا على أهلها في حاضر الأمر وعقباه.

عباد الله: إن الله تعالى قد اصطفى لكم الدين، واجتباكم إذ هداكم له من بين العالمين، وكمله لكم فأنتم عليكم به الإنعام، فجعلكم خير الأمم بالإسلام، وأكرمها عليه وأحقها بالإكرام، وأنتم يوم القيامة أول من يدخل فاحمدوا الله على اصطفائه واثنوا عليه لاجتبائه واشكروه جل ذكره على سابغ إنعامه ومترادف آلائه، واستقيموا له كما أمرتم، واتبعوا فقد هديتم وكفيتم، ولا تبتدعوا فإنكم إن ابتدعتم ضللتم، فهلكتم وأهلكتم ذلكم لأن شرع الله تعالى نور وهدى والروغان عنه يمنة أو يسرة هلاك وردى قال تعالى {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[1] وقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[2]، وقال تعالى {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ}[3] وقال سبحانه {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[4].

---

(١) (المائدة: ١٦).

(٢) (الأنعام: ١٥٣).

(٣) (فصلت: من الآية ٦).

(٤) (الروم: ٣١ – ٣٢).

معشر المسلمين: صح عن نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قوله:«كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»، وقال صلى الله عليه وسلم:«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم «الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون» أمر صلى الله عليه وسلم بمجاهدتهم بالقلب واليد واللسان وجعل جهادهم آية الإيمان وما ذاك إلا لمخالفتهم القرآن، وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم له من بيان.

أيها المؤمنون: أما كلام السلف الصالح رضوان الله عليهم في التحذير من البدع وذم من ابتدع فهو كثير، وشهير فمن جوامع صريحة وبليغ نصيحة ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:«عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والتبدع» وقال ابن مسعود رضي الله عنه «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»، وعن حذيفة رضي الله عنه قال:«كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب محمد فلا تتعبدوها».

أمة الإيمان: إن البدعة التي نهيتم عنها، وحذرتم منها، وزجرتم عنها، وأمرتم بخلافها، وإنكارها وجهاد أهلها في الوحيين وكلام السلف الصالحين هي:

في اللغة: ما أحدث في دين الله من العلوم والاعتقادات والمقالات والأحوال والعبادات فما لا سند لأصله ولا لكيفيته من القرآن ولما صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم من البيان ولا عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان فهي ما لم يشرعه الله ورسوله قال تعالى {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}[1]، وقال سبحانه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[2]،وقال صلى الله عليه وسلم:«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وقال صلى الله عليه وسلم:«من رغب عن سنتي فليس مني»، وقال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}[3]،وقال جلا وعلا {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[4]، وجعل تبارك وتعالى اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم في الدين علامة محبته وسبب مغفرته ورحمته فقال تعالى {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[5].

---

(١) (هود: من الآية ١١٢).

(٢) (النور: من الآية ٦٣).

(٣) (الأحزاب: ٣٦).

(٤) (القصص: من الآية ٥٠).

(٥) (آل عمران: ٣١).

أمة محمد صلى الله عليه وسلم: إن الابتداع في الدين واتباع المبتدعين، آثار عن الجهل بما جاء من الله تعالى من الحق والهدى، وأمارات عن الزيغ واتباع الهوى، ومن نتاج الاستدلال بالمتشابه من الأدلة، والغلو بل والتعصب لأعيان من الأئمة، وحقيقتها القول على الله تعالى وفي دينه بغير علم، ومن ثمراتها المشئومة الصد عن أخذ العلم عن أهل العلم، والظلم والجور في الحكم، والتمادي في الغي والإثم.

أمة القرآن: إن البدع شر وشؤم وإثم وغرم على أهلها، وعلى من اتبعهم فيها، وعلى البلاد والعباد في المعاش والمعاد، كيف لا وهي تصلي أهلها جهنم وبئس المهاد قال تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}(١)،وقال تعالى {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}(٢).

معشر المؤمنين: وإنما كانت البدع مشئومة في العاجلة والعقبى، مُشقية لأهلها في الدنيا والآخرة، لأنها تتضمن في طياتها ومن لوازمها الاستدراك على الله تعالى في تشريعه، واتهام النبي صلى الله عليه وسلم في بيانه وتبليغه وتنقص السلف الصالحين في تلقيهم لدين الله وفهمهم وعلمهم لله، وهي أيضاً والله تفريق للدين، وفتنة للمسلمين، مع ما تحدثه من قسوة القلوب، والاستهانة بأحكام وشعائر دين علام الغيوب ناهيكم بما تسببه من الصد عن الصراط المستقيم والأخذ بسبيل الجحيم، فإنها تجعل الدين بدعا، وتفرق المتدينين أحزاباً وشيعا، وتصد أهل الإسلام عن جهاد عدوهم وتجعل بأسهم بينهم، ثم تكون سبباً في تسليط عدوهم عليهم حتى يأخذ بعض ما في أيديهم، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل في الدين، وما ابتلوا بالجدل في الدين إلا شغلوا عن جهاد أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين.

فاحذروا البدع «عباد الله» فإنها شر وشؤم في الدنيا والآخرة {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}(٣).

---

(١) (آل عمران من الآية ١٠٦).

(٢) (الكهف: ١٠٣ – ١٠٦).

(٣) (البقرة: ٢٨١).

الوقت أهميته والسؤال عنه

الحمد لله ذي العزة والجلال، والكبراء والعظمة والكمال. أحمده سبحانه على ماله من أوصاف العظمة والجلال والجمال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الأسماء الحسنى العلى والمثل الأعلى. وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله المجتبى ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أئمة أهل البر والتقوى.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق التقوى، واعرفوا قيمة أوقاتكم واغتنموها في ما يعود عليكم بالصلاح والسعي في الإصلاح تكونوا من أهل البر والفلاح وتنقلبوا بعظيم الأرباح {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}[1].

عباد الله: لقد كثر ذكر الوقت في القرآن وفيما صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم من بيان تنبيهاً على عظمة شأنه، وحث لأولي الألباب على اغتنامه، وتذكيراً بسرعة مضيه وشك انقضاء الأجل، ومفاجأة انقطاع الأمل حين نزول الموت ولقيه وفي ذلك ما يحفز أولي العزم على الحزم في اغتنام الوقت بأنواع العمل الصالح والتوبة إلى الله تعالى من القبائح طمعاً في الفوز بالمتجر الرابح يوم توفى النفوس ما عملت، ويحصد الزارعون ما زرعوا، فالمحسنون أحسنوا لأنفسهم، والمفرطون خسروا وبئس ما صنعوا ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى.

معشر المسلمين: من وجوه عناية الله تعالى بالوقت وتذكير عباده بشأنه أن الله تعالى قد أقسم به في آي محكمة من كتابه فأقسم بالفجر والضحى، والعصر والليل إذ يغشى والنهار إذا تجلى. على صدق ما جاءت به رسوله ونزلت به كتبه، ودعا عباده إلى الإيمان به والعمل على وفقه من بيان توحده سبحانه في وصفه وفعله ووجوب توحيده إلهية وحقه وتحقق البعث وحكمته، وتدبير الله تعالى الملك بعلمه وحكمته وقدرته وغير ذلك مما فرض الله تعالى الإيمان به والعمل بمقتضاه.

والله تعالى إذا أقسم بشيء من مخلوقاته فإنما يلفت النظر إلى أن ذلك الشيء المقسم به من آيات العظمة وبراهين التوحيد ووجوب إخلاص الدين لله تعالى من العبيد وإن ذلك المقسم به من نعم الله الجلي على عباده التي ينبغي أن يغتنمها العبد فيما يسعده في معاشه ومعاده، وأن حظه منه يسير فليغتنمه فيما يجنبه الخسران ويحقق له الفوز الكبير.

---

(١) (فاطر: ٢٩ – ٣٠).

أيها المسلمون: من وجوه عناية الله تعالى بذكر الوقت وشأنه قوله تعالى {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[١]. وقال صلى الله عليه وسلم «بادروا بالأعمال سبعاً هل تنظرون إلا فقراً منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»، وثبت عن بعض السلف أنه قال ما من امرئ يحضره الموت إلا تمنى الإمهال فإما محسناً فيزداد وأما مسيئاً فليستعتب ثم قرأ قول الحق تبارك وتعالى {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[٢] يعني القبر وأهواله وأحوال الناس فيه.

أيها المؤمنون: من وجوه عناية الله تعالى بالوقت والتذكير بشأنه ما ذكره الله تعالى من توبيخ الكفرة يوم القيامة على التفريط فيه بتضيعه في الغفلات وأنواع الكبائر والموبقات كما قال تعالى في محكم الآيات {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}[٣].

أمة الإسلام: ومن وجوه عناية الله تعالى بالوقت وقيمته إقسامه تعالى بعمر نبيه صلى الله عليه وسلم {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}[٤] وذلكم لما كان عمره صلى الله عليه وسلم مباركاً مملوءاً بالذكر والشكر والعبادة والاستغفار والطاعة آناء الليل وآناء النهار على أحسن ما تكون العبادة وأجمل ما تقع الطاعة وقد خاطب جل وعلا الأمة بقوله {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[٥] وأمر تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يمتحن الأمة في محبتهم لله تعالى باتباعهم له إذ يقول: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٦].

---

(١) (المنافقون: ١٠ – ١١).

(٢) (المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠).

(٣) (فاطر: من الآية ٣٧).

(٤) (الحجر: ٧٢).

(٥) (الأحزاب: ٢١).

(٦) (آل عمران: ٣١).

ألا فاتقوا الله عباد الله واعرفوا لأوقاتكم شرفها ولأعماركم شأنها وخطرها فاغتنموها بالإيمان والطاعة فإنها أربح البضاعة، ولا تمتهنوها بالإضاعه فتفاجأوا بالموت أو قيام الساعة فتنقلبوا من الأخسرين أعمالا {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}[1] تأمنوا العقبى وتفلحوا في الدنيا والأخرى قال تعالى {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[2].

(١) (الكهف: ١٠٤ – ١٠٥).

(٢) (النور: من الآية ٥٢).

التذكار بفضائل الاستغفار

الخطبة الأولى

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب هو لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الوهاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من استغفر ربه وأناب صلى الله عليه وسلم وعلى آله المكرمين وسائر الأصحاب المستغفرين بالأسحار وآناء الليل وآناء النهار أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى ولازموا الاستغفار فإنه من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رزقا واسعاً طيبا فوق ما طلب ورجا.

عباد الله: الاستغفار هو طلب المغفرة من الله تعالى وهو سبحانه واسع المغفرة والمغفرة والغفران هما الستر من شؤم الذنوب من لدن علام الغيوب في الدنيا والأخرى فإن الله تعالى إذا غفر للعبد ستره من شؤم الذنب من الفضيحة والعقوبة المعجلة في الدنيا ومن الخزي والعذاب في الأخرى والله تعالى عفو يحب العفو. ستير يحب الستر فالغفور، والغفار، وغافر الذنب من أسماء الله تعالى الحسنى، التي يتوسل بها إلى الله تعالى ليظهر الجميل وليستر القبيح فيغطي الذنوب بالعفو عنها، والتجاوز عن عقوبتها في العاجلة والأجلة، فيغفر الذنوب مرة بعد أخرى إذ كلما تكرر الذنب تكررت التوبة وطلب المغفرة حتى يقول الرب:«علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي فليفعل عبدي ما شاء» فيسبل الله سابغ ستره على عبده المستغفر المنيب فلا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم وتحزنه أمامهم لا في الدنيا ولا في الأخرى بل أن الله تعالى لعظيم جوده وكرمه وإحسانه يسقط عن المستغفر اللوم ويصرف عنه العقاب وينيله كريم الثواب وحسن المآب.

عباد الله: استغفروا ربكم فإن الله تعالى أنس المستغفرين بمغفرته ورجاهم رحمته كما قال تعالى {وَقُولُوا حِطَّةٌ} أي احطط عنا خطايانا ثم قال {نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}[1].وقال سبحانه {فَإِنِ انْتَهَوْا} أي من شركهم ومعاصيهم {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[2]، وقال تعالى {وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[3] وقال جل ذكره {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ

---

(١) (البقرة: من الآية ٥٨).

(٢) (البقرة: ١٩٢).

(٣) (البقرة: من الآية ٢٦٨).

يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}[1] وقال سبحانه {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[2] وقال تعالى {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[3] وقال تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}[4].

يا معشر المسلمين: بل إن الله تعالى لسعة كرمه وعظيم جوده يغفر لمن يشاء من الذنوب ما دون الشرك حتى من غير توبة قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}[5] وقال سبحانه {وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[6] وقال سبحانه {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[7].

أيها المؤمنون: وكم للاستغفار الصادق من فوائد عظيمة وعوائد كريمة ولذلكم أمر الله تعالى به وأبدى وأعاد في ذكره وجعله سجية المصطفين من عباده وخصلة من خصال أهل الإيمان به وما ذلكم إلا لأنه يجبر نقص العمل ويرتق ما فيه من الخلل ويستر به التقصير والزلل، ولذلكم قرنه الله تعالى بالأمر بالتوحيد فقال تعالى في محكم الآيات {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}[8] وشرع النبي صلى الله عليه وسلم أن يتبع الاستغفار التسليم من الصلوات فيستغفر المصلي بعده ثلاث مرات وأمره الله تعالى أن يستغفر للمؤمنين عند الصدقات وأمر به الحجاج عند الإفاضة من عرفات وكم جاء الأمر به والتذكير بشأنه عند جملة من المناسبات لأنه يكمل الصالحات ويمحو الخطيئات.

---

(١) (النساء: ١١٠).

(٢) (المائدة: ٣٩).

(٣) (الأنعام: من الآية ٥٤).

(٤) (الرعد: من الآية ٦).

(٥) (النساء: ٤٨).

(٦) (يونس: من الآية ١٠٧).

(٧) (التوبة: ٢٧).

(٨) (محمد: من الآية ١٩).

أمة الإسلام: ومن فضائل الاستغفار أنه من أسباب المتاع الحسن في الدنيا وإيتاء واسع الفضل من المولى قال تعالى {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}(١).

معشر المستغفرين: وبالاستغفار المحقق يستنـــزل الغيث من السماء وتحفظ وتزاد القوى وتيسر ويبرأ من الإجرام وتستمد الأموال والبنون وتتقي الآثام قال تعالى {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ}(٢) وقال تعالى في معرض الحديث عن دعوة نوح عليه السلام لقومه {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}(٣).

معشر المؤمنين: وكذلكم من فضائل الاستغفار أنه من أسباب قرب الله تعالى من عباده والإجابـــة وكم في طيات ذلك من البشارة يفنون الإثابة.

قال الله تعالى عن صالح عليه السلام أنه قال لقومه {فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}(٤)، وفي قصص دعوة شعيب عليه السلام لقومه أن الاستغفار من أسباب رحمة الله تعالى للمستغفرين ومودتهم وأن يجعل لهم وداً في صدور عباده الصالحين {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}(٥).

معشر المؤمنين: ما أكثر وأحسن ثمرات الاستغفار التي يجود بها العزيز الغفار على المستغفرين آناء الليل وآناء النهار وخاصة بالأسحار عن اعتراف بالذنب والتقصير مع الذل والانكسار فاستغفروا ربكم نادمين واسألوه المغفرة صادقين ولا تتولوا مصرين تنالوا المغفرة والجنات كما وعدكم ربكم في محكم الآيات {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا}(٦).

عباد الله: ولقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يستغفر الله عند رقدته وحين يستيقظ من نومـــه وعند قيامه من مجلسه وفي أواخر عباداته وفي سائر آنائه وأوقاته ويدعو به لأصحابه في الحياة عنـــد

---

(١) (هود: ٣).

(٢) (هود: من الآية ٥٢).

(٣) (نوح: ١٠ – ١٢).

(٤) (هود: من الآية ٦١).

(٥) (هود: ٩٠).

(٦) (آل عمران: من الآية ١٣٥).

توديعهم لسفرهم وعند قدومهم وفي جملة من أوقاتهم ويدعو بالمغفرة لهم حال الصلاة عليهم بعد مماتهم وعند زيارة قبورهم ويحث أمته على كثرة الاستغفار ويذكرهم بفضائله وحسن عواقبه لهم المثل في كثرة الاستغفار وأنه من كمال ذل العبد لربه والشكر للواحد القهار، وكان يُعدّ له صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول:«رب اغفر لي وتب علي أنك أنت التواب الغفور».

عباد الله: الاستغفار أمنة من العذاب ومن أعظم الوسائل إلى كريم الثواب قال تعالى {وما كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}(١) {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ}(٢) وقال سبحانه {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(٣) وقال سبحانه في المستغفرين لذنوبهم {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}(٤).

فاتقوا الله عباد الله وأكثروا من الاستغفار وأكثروا للهج به في الأسحار وفي آناء الليل وآناء النهار واختموا به العبادات والمجالس والأعمار تربحوا فوائده وتنالوا عوائده في الدنيا ويوم القيامة للواحد القهار.

---

(١) (الأنفال: من الآية ٣٣).

(٢) (الفرقان: من الآية ٧٧).

(٣) (النمل: من الآية ٤٦).

(٤) (آل عمران: ١٣٦).

القول الحسن والكلم الطيب وحسن عواقبها
على العباد في المعاش والمعاد

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، واسعوا في موجبات ثوابه ومرضاته واتقوا أسباب سخطه وعقوباته، واستبقوا الخيرات، واستغفروا من الخطيئات، وأدوا حقوق البريات، واستكثروا من الحسنات، وما تتحقق به رفعة الدرجات، قبل أن يقال فلان مات، قد حيل بينه وبين الأمل وانقطع منه العمل، وارتهن بالخطيئة والزلل ومضى إلى الله عز وجل.

عباد الله: إن القول الحسن، والكلم الطيب من أعظم أسباب كثرة الحسنات ورفعة الدرجات، وحط الخطيئات، وعلو المنزلة عند رب الأرض والسموات ولذا كثر في القرآن والسنة ذكر فضائلها وحسن عواقبها والأمر بها، والثناء على أهلها، والنعي والذم لمن أعرض عنها وتكلم بضدهما تذكرة من الله تعالى للعباد وهداية منه إلى سبيل الرشاد، وإرشاداً إلى موجبات الفلاح والإسعاد قال تعالى {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}(١)، وقال سبحانه {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(٢) وقال جل ذكره {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً}(٣) وقال تبارك اسمه {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}(٤) وقال عز من قائل {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}(٥) وقال جل شأنه {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}(٦).

أيها المسلمون: ومن بيان النبي صلى الله عليه وسلم بشأن الكلم الطيب وحسن عاقبته على أهله في العاجلة والآجلة قوله صلى الله عليه وسلم:«أفش السلام، وأطب الكلام، وصل الأرحام، وصلي بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام» رواه أحمد، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ويعجبني الفأل، قيل وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة» متفق عليه، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:«اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» وقوله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»، وقوله صلى الله عليه وسلم «والكلمة الطيبة

---

(١) (البقرة: من الآية ٨٣).

(٢) (الإسراء: من الآية ٥٣).

(٣) (النور: من الآية ٦١).

(٤) (إبراهيم: ٢٤ : من الآية ٢٥).

(٥) (فاطر: من الآية ١٠).

(٦) (الحج: ٢٤).

صدقة» وعن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أربع من أطيب الكلام، وهن من القرآن لا يضرك بأيهن بدأت، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر» الحديث رواه مسلم وغيره، وفي حديث عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما الإسلام؟ قال:«طيب الكلام، وإطعام الطعام»، وسئل صلى الله عليه وسلم أي الكلام أفضل قال:«ما اصطفاه الله لملائكته سبحانه وبحمده» وقال صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة غرفاً يرى ظهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال أبو موسى: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائماً والناس نيام» رواه أحمد وغيره. وقال صلى الله عليه وسلم «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، وقال صلى الله عليه وسلم:«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك ل له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة وكانت له عدل عتق عشر رقاي وكتبت له مائة حسنة ومحت عنه مئة سيئته، وكانت حرزاً له من الشيطان يومه ذلك حتى يمس، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كان مثل زبد البحر» متفق عليه.

معشر المؤمنين: الكلم الطيب وحسن القول هو ذكر الله تعالى ودعاؤه، والتذكير بنعمه وحقه على عباده، والدعوة إليه وتلاوة كلامه، والتبليغ عن نبيه صلى الله عليه وسلم رسالته وهديه وسنته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنواهي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة وما يتحقق به الإصلاح بين الناس وقطع دابر الفتن والشرور، وكل قول يستحسن ذووا العقول الراجحة والفطر السليمة، ويتحقق به صلاح القلوب وسلامة الصدور، وطيب النفوس بدلالة الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة الثابتة عن خير البرية، قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[1]، وقال جلا وعلا {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[2] إلى قوله {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[3]، وقال سبحانه {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً

(١) (الأحقاف: ١٣ – ١٤).

(٢) (فصلت: ٣٣).

(٣) (فصلت: ٣٥).

لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}[١] وقال تعالى {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[٢] وقال سبحانه {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}[٣] وقال تعالى {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[٤].

أمة الإسلام: إن حسن القول وطيب الكلم من أسباب التذكر والخشية وصلاح الأعمال، ومغفرة الذنوب، وبها تقطع ذرائع للخصومة وتسد أبواب الفتنة وتتقي أسباب الشقوة في العاجلة والآجلة، وبهما تشيع المودة والمحبة، ويحصل بها التعاون على الخير والبر والمرحمة وبهما تسد منافذ الشيطان وتتقى شرور أهل الشر من الإنس والجن وبهما تتضاعف المثوبة، وتكفر الخطيئة وترفع الدرجة، وبها ينال رضى الرحمن وتحصل الغرفة العلية في الجنان فهما جماع الخير في الدنيا والآخرة وتقاة من الشر في العاجلة والآجلة.

فعودوا أنفسكم حسن القول وطيب الكلم تنالوا الفلاح والغنم وتتقوا الشقوة والغرم في الدارين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}[٥] الآيات.

---

(١) (فاطر: ٢٩ – ٣٠).

(٢) (العصر: ١ – ٣).

(٣) (البلد: ١٧ – ١٨).

(٤) (النساء: ١١٤).

(٥) (النساء: من الآية ٦٦).

فضل الرفق وحسن الخلق مع الخلق

الخطبة الأولى

أما بعد: فيا أيها الناس: اتقوا الله فإن التقوى خير زينة ولباس في الدنيا، وخير زاد وأوثق سترة من النار في الأخرى. قال تعالى {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}[1]، وقال سبحانه {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}[2] وقال جل ذكره حين أنذر من النار {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}[3] فلن تتزينوا لربكم، ولن تتزودوا... ولن تستمدوا يوم بعثكم ونشوركم بمثل التقوى.

عباد الله: إن من خير خصال التقوى، ومن كريم أخلاق أولي النهى، التيسير والرفق واللطف في التعامل مع الخلق عامة، وأهل الإيمان وأولي القربى والجيران و الشركاء خاصة، تحقيقاً للتقوى، وتكميلاً للإيمان، وطلباً لكريم المثوبة والرضوان من الرحمن، الذي يجزي الإحسان بالإحسان، ودفعاً لنزع الشيطان وحذراً من الظلم والبغي على الأقارب والإخوان فإن إثمها كبير، وشؤمها خطير، والحياة معها نكدة، والعيش بهما منغص، ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله، ويكتال من الشقوة بالمكيال الأوفى.

عباد الله: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فإن الله تعالى قد بعثه للناس بل للعالمين رحمة وهدى فكان صلى الله عليه وسلم هيناً ليناً سمحاً كريماً رفيقاً رحيماً، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، وقد وسع خلقه الناس سهولة ورفقا ونضحت يداه الكريمتان بالعطايا كرماً وجودا، وكان صلى الله عليه وسلم أبر الناس قلباً، وأطيبهم نفسا وأعظمهم كرما، وأقربهم رحما، وأوسعهم معروفاً وفضلا، وقد لازمته صلى الله عليه وسلم تلك الأخلاق العالية والفضائل الذاكية حتى في أشد الأوقات وأحلك الظروف ومع الأعداء، فكان صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج وجهه وكسرت رباعيته، يمسح الدم عن وجهه ويقول:«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، ويوم فتح الله عليه مكة ومكنه من أعدائه الذين أخرجوه من بلده، وآذوه في نفسه وأهله وولده، وآذوه في أتباعه ولم يراعوا فيه رحماً ولا فضلاً، فلم يعاملوهم بالمثل بل قال لهم:«اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أيها المسلمون: إن الرجل العظيم كلما عظم إيمانه بالكبير المتعال، وتعلق رجاؤه بذي الفضل والكرم والجلال، وخشي من شؤم الشح والبخل، واللؤم والظلم في الدنيا والآخرة، ورجى حسن

---

(١) (الأعراف: من الآية ٢٦).

(٢) (البقرة: من الآية ١٩٧).

(٣) (الليل: ١٧).

عواقب الكرم والفضل والسماحة والرفق والعفو والصفح في العاجلة والآجلة، اتسع صدره، وعظم حلمه، وبادر بعفوه، وتوالى كرمه وتطلب للناس الأعذار، والتمس لهم المسوغات لأخطائهم وغلطهم عليه، وأخذهم الأرفق من حالهم فعفى عن الزلل وستر القبيح، غلب جانب حسن الظن وأخذ بالعفو والصفح عملاً بقوله تعالى {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(١).

عباد الله: إن الله تعالى قد أعد جنات عرضها السموات والأرض للمتقين المحسنين، الذين يقهرون هوى أنفسهم ويعفون عن الجاهلين مصلحين {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(٢).

أمة الإسلام: إن حقا على المسلمين أن يستصحبوا الرفق واللين والعفو والصفح والدفع بالتي هي أحسن في الأمر كله والتعامل فيما بينهم من غير مداهنة ولا مجاملة ومن غير غمط ولا ظلم لأن القلوب الكبيرة التي عمرها الإيمان وامتلأت من خشية الملك الديان فلم تستجيشها دوافع القسوة وسوء الظن عن التعقل والحلم فهي إلى العفو والصفح أقرب منها إلى البطش والانتقام وفي التنـــزيل يقول الحق تبارك {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}(٣) ويقول سبحانه {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ}(٤)، وفي الصحيح مما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من بيان القرآن يقول صلى الله عليه وسلم:«ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما كان العنف في شيء إلا شانه»، «وإن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي العنف وما لا يعطي على ما سواه».

أمة الرحمة والهدى: إن العقل والحكمة والمعرفة بطبائع الأمور والفقه في القرآن وما أنـــزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم له من بيان كل هذه المصادر العظيمة وأســس الأخــلاق القويمة، وتقتضي ممن يهتدي بها أن يتقبل الميسور من أخلاق الناس والرضا بالظاهر مــن أحــوالهم، وعدم التفتيش عن سرائرهم أو تقصي دخائلهم، كما تقتضي قبول أعذارهم والغظ عن هفــواتهم، وحملهم على السلامة وحسن النية، إذا سبقت هفوة، أو حصلت زلة، فليس من الدين ولا من الخير

---

(١) (النور: من الآية ٢٢).

(٢) (آل عمران: ١٣٤).

(٣) (الأعراف: ١٩٩).

(٤) (آل عمران: من الآية ١٥٩).

والدب وحسن الخلق المبادرة إلى هتكها أو التعجل في كشفها، فضلاُ عن التحدث بها وإفشائها أو بناء التعامل عليها والجزاء بها وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»، وفي الحديث الآخر قال صلى الله عليه وسلم:«ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة».

أيها المؤمنون: إن المؤمن الناصح رحيم بأهله وقرابته وذويه، شفوق حنون على جيرانه ومن يليه يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه، ويجتهد لهم في النصح كما يجتهد لنفسه، ويكره لهم الشر والأذى كما يكرهه لنفسه، ويعلم أنه مجزي بالخير خيرا، وبالشر مثله إن عاجلاً أو آجلا، فالخير قرض وإسلاف، والشر شؤم وإتلاف، والرحيم الرقيق لكل ذي قربى ومسلم أحد أضاف أهل الجنة، واللفظ الغليظ الجافي القاسي المؤذي أحد أضاف أهل النار، فعلى كل أبٍ شفيق، وأم رؤم، وعلى كل زوج رحيم أو زوجة حنون، وعلى كل راع وصاحب مسئولية، وعلى كل جارٍ، وشريك في عمل، يؤمن بالقرآن، ويحب النبي صلى الله عيه وسلم ويرجو الله واليوم الآخر، ويعلم أنه كما يدين يدان، أن يوفقوا بذويهم ومن تحت أيديهم، وشركائهم ومواليهم فيتعاملوا بالفضل، ويدفعوا بالحسنى، ويأمروا بما يستطاع، ويقبلوا الميسور من أخلاق الناس، فإنه على قدر الإحسان، والتجاوز عن الهفوات وإقالة العثرات، تعظم منزلة المرء عند الخلق وترتفع درجته عند الخالق وتعظم محبته ومثوبته عند الله، ويحبه الناس وتدوم مودته في صدورهم وفي الحديث إنكم لن تسعوا الناس بأرزاقكم ولكن سعوهم بأخلاقكم.

ألا فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله فأجلوا آبائكم ومن في منزلتهم ويروهم واحتموا أقرانكم وإخوانكم ووقرهم وارحموا مساكينكم وضعفائكم، فأحسنوا إليهم ولا تؤذوهم ولا تشيعوا السوء ولا تشتموا بذوي البلاء واعرفوا لذي الفضل فضله واستروا على العاثر المستور عثرته فإن القلوب.

حض اللاحقين على الاقتداء بالسلف السابقين

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى واستقيموا له على الطاعة، والزموا منهاج أهل السنة والجماعة، تنصروا وتجتنبوا مضلات الفتان إلى قيام الساعة، وتنجوا من النار في الآخرة وتدخلوا الجنة مع الجماعة أعني السلف الصالح الفائزين برضوان الله والمتجر الرابح {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[1]، واحذروا مشاقتهم والانحراف عن سبيلهم فإنه ضلال وشقاء في الدنيا وعذاب وخسار في الأخرى كما قال تعالى زجراً وتحذيراً {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[2].

عباد الله: لقد من الله على المؤمنين {إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي}[3]، وأثبت هذه المنة في كتاب يتلى إلى يوم الدين امتناناً على السابقين وحضاً للاحقين على أن يحذو حذوهم وينهجوا منهاجهم من العلم والدين وأن يحذروا مسالك المنحرفين من المغضوب عليهم والضالين والملاحدة والمشركين {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[4]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[5].

أيها المسلمون: لقد جاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الناس بالدين الذي شرعه الله، ودعاهم إلى أن يستقيموا عليه، ومخلصين لله وأن يأسوا به في كيفية أدائهم له لله، وحذرهم عليه الصلاة والسلام من تركه أو التقصير فيه، جفاءً له أو زهداً فيه ومن الغلو والابتداع فيه، وأنهم بهذا المنهاج يشكروا المنعم ويحفظوا النعم، وينجوا من مهلك وعقوبة من ضل قبلهم من الأمم.

---

(١) (التوبة: ١٠٠).

(٢) (النساء: ١١٥).

(٣) (آل عمران: من الآية ١٦٤).

(٤) (الجمعة: ٢ – ٤).

(٥) (آل عمران: ١٠٠ – ١٠١).

معشر المسلمين: لقد نـــزل من الله القرآن، وردفه ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والبيان فنـــزلت الأمانة في جذر قلوب المؤمنين فعلموا من القرآن وعلموا من الســـنة فقهـــوا المـــراد وحققوه بالعمل وبذلك تمت عليهم النعمة، وتحققت عليهم المنة فإنهم أهل اللســـان، وقـــد حضـــروا نـــزول القرآن، وشاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحقق البيان، فما فهموا منه مضوا فيه وما أشكل عليهم راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم فيه فكان الصحابة رضي الله عنهم بحق أعلـــم الأمـــة بالكتاب والسنة، وخير قرون الأمة، بل هم خير من كل أمة، ولذا شهد الله تعالى لهم بأنهم الأمة الوسط أي الخيار العدول من الناس، بل خير أمة أخرجت للناس، وأثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم خير القرون، وأن خير الناس بعدهم الذين هم لهم يتبعون، فالتابعون لهم بإحسان هم خير الأمة بل خير الناس من كل أهل زمان ومكان، وأنهم هم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية وأن الغرباء حقاً هم مـــن كان على مثل ما كان عليه الصالحون، الذين يصلحون عند فساد الناس، ويصلحون ما أفسد الناس.

أيها المؤمنون: كل ما مضى يبين لكم فضل السلف الصالح، وأنهم هم أهل الدين والصـــلاح ولـــن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولن ينجو آخر هذه الأمة من الفتن والعذاب إلا بما نجـــى بـــه أولها كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«إن الله جعل عافيـــة هـــذه الأمة في أولها وسيصيب آخرها فتن وأمور تنكرونها فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يتوه أنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليهـــا بالنواجـــذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، وقال صـــلى الله عليه وسلم:«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»، وقال صـــلى الله عليه وسلم:«فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فاتبعوا السلف الصالح بإحسان تفوزوا برضى الرحمن وفسيح الجنان، ولا تشـــاقوا الله والرســـول وتتبعوا غير سبيل المؤمنين فتصبحوا من الهالكين الخاسرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}[1].

(١) (النساء: من الآية ٦٦).

في الكسوف حكمته والواجب عند حدوثه

الخطبة الأولى

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق تقاته، واعتبروا بتدبيره سبحانه وآياته، فإن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه قد نصب له آيات كثيرة عظيمة دلالة على وحدانيته، وتفرده في ملكه وربوبيته لتستدلوا بذلك على علمه وحكمته وإرادته وقدرته ولتعلموا أنه تعالى هو الإله الحق، المعبود بالحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحقها أحد سواه {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}[1] الآية.

عباد الله: آيات الله تعالى المخلوقة كثيرة ففي كل شيء له آية دلالتها كبيرة إذ تدل على أن الله تعالى هو الرب الواحد كما تدل على إلحاد وخسران الجاحد قال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}[2] يعني سبحانه أن من دلائل انفراده تعالى في ربوبيته وقدرته، وتدبيره بإرادته وحكمته أن خلق الليل بسكونه والنهار بنشوره لتسكنوا في الليل مطمئنين مرتاحين وتنتشروا في النهار لفضل ربكم مبتغين قال تعالى {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[3].

عباد الله: وإنما جعل الله تعالى بقدرته وحكمته وفضله ورحمته الليل ظرفاً للسكون، والنهار ظرفاً للمعاش لأنه جعل القمر الذي هو آية الليل نوراً هادئاً، بهياً أنيساً وجعل الشمس التي آية النهار سراجاً مضيئة كما قال سبحانه {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}[4] وقال سبحانه {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[5].

معشر المسلمين: وكما أن من آيات الله العظيمة أن خلق الشمس بضيائها وإشراقها والقمر بنوره وبهائه وقدر جرياهما بفلكيهما {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي

---

(١) (الحج: ٦٢).

(٢) (فصلت: من الآية ٣٧).

(٣) (النمل: ٨٦).

(٤) (الإسراء: ١٢).

(٥) (يونس: ٥).

فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[1] فإن من آياته الحكيمة أن يذهب ضوءهما متى شاء ليعلم العقلاء أنهما مخلوقان مسخران لا يملكان لنفسهما ولا لغيرهما ضراً ولا نفعاً وأنهما ليس لهما من أفعال الربوبية شيء فليس لهما من وصف الإلهية شيء فلا يستحقان العبادة ولذا قال تعالى {لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[2].

عباد الله: فقد استدل بعض أهل العلم بالأمر بالسجود لله تعالى في هذه الآية على مشروعية صلاة الكسوف والخسوف ووجهه أن الله تعالى لما قرر أن الشمس والقمر من آياته أمر بالسجود له سبحانه فدل على أنه يشرع السجود له جلا وعلا عند آياته لا لآياته وذهاب ضوء الشمس والقمر حال وجودهما من آياته فإن الذي جعلهما مضيئين في السماء هو الذي يذهب بضيائهما إذا شاء فتقرر بهذا أن العبادة للحق لا للخلق.

معشر المسلمين: لقد كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصادف ذلك موت ابن النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم عليه السلام وكان أهل الجاهلية يظنون أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت أو حياة عظيم من العظماء فصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف ثم خطب الناس وكان فيما قال للناس:«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم بطلان زعم أهل الجاهلية وفساد اعتقادهم في كسوف الشمس والقمر وبين لهم صلى الله عليه وسلم حكمة الكسوف وما يرسله الله تعالى من الآيات وهي أن الله تعالى يخوف بها عباده كما قال تعالى {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}[3] وبين لهم صلى الله عليه وسلم ما شرعه الله تعالى لهم تجاه ذلك وهو أن يفزعوا إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتوبة فذلك مما يكشف به البلاء ويدفع به الضرر من الأحياء قال صلى الله عليه وسلم «فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف أو قال ينجلي ما بكم».

أيها المسلمون: ولقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كسفت الشمس ركعتين في كل ركعة ركوعان وسجودان كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة التي تواترت عن جمهور الصحابة رضي الله عنهم وأطال صلى الله عليه وسلم القراءة ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع فقرأ القرآن وأطال الرفع ثم ركع ثانية فأطال الركوع ثم رفع فأطال القيام وهو دون الأول ولم يقرأ في

---

(١) (يس: ٤٠).

(٢) (فصلت: من الآية ٣٧).

(٣) (الإسراء: من الآية ٥٩).

الركوع الثاني ثم سجد سجدتين أطالهما والجلوس بينهما طولا مناسب لقيامه وركوعه ثم صلى الركعة الثانية كالأولى إلا أنها دونها في الطول ثم تشهد ثم سلم ثم وعظ الناس بشأن الكسوف وأخبر عما أطلعه الله عليه وكشف له من الأمور الغيبية.

الولاية العامة شأنها وعظم النعمة بها ووجوب أداء حقها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليما.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من دينكم بالعروة الوثقى فإن الله تعالى قد جمع لأهل التقوى بين خيري الدنيا والأخرى ووعد المستقيمين على دينه بأحسن البشرى {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(١)، {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}(٢).

عباد الله: تذكروا أن الله تعالى قد خلقكم لعبادته، وأمركم بالإيمان به وطاعته، وبشر المؤمنين والمطيعين بأنواع المثوبة وألوان الكرامة وتوعد المعرضين والعاصين إن لم يتوبوا قبل الموت بمتنوع العقوبة وغاية الخسران والندامة {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}(٣).

عباد الله: إن دين الإسلام الحق هو جماعُ العبادة، والسبيل الأقوم للطاعة، وإن الإيمان والتقوى، هما برهان الاستقامة والاستمساك بالعروة الوثقى، وإنهما يثمران كل خير في العاجلة والأولى، ويجلبان كل سعادة فضلاً من المولى، ويعصمان، وينجيان.

من أسباب الفتن الشقوة والخسران في الدنيا والأخرى، فداوموا على الإيمان كما أمرتم، ولازموا التقوى كما وصيتم {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ}(٤)، وتحلوا بالإخلاص والصدق، وكفوا عن أذى الخلق بغير حق، وادعوا إلى الإسلام، وأعزوا بحسن الاستقامة

---

(١) (التوبة: ٧٢).

(٢) (التوبة: ٢١ – ٢٢).

(٣) (السجدة: ١٨ – ٢٠).

(٤) (النساء: من الآية ١٣١).

عليه جميع الأنام تكونوا من الأمة الوسط، وتعصموا من الشطط وبذلكم تصبحوا خير أمة أخرجت للناس، والشهداء يوم القيامة على الناس وتوفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله، وتسبقون الأمم إلى الجنة وتكونوا أكثر أهل الجنة {قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[1].

أيها المسلمون: وإذا عرفتم فضل دين الإسلام ومنة الله تعالى عليكم فيه فاعلموا أنه لا دين إلا بالاجتماع عليه وترك تفريقه والتفرق فيه ولا جماعة إلا بولاية تقيم الدين وتقيم الناس عليه وتمنع من تفريقه والتفرق فيه فإن من القواعد المقررة شرعاً والمسلَّم بها عقلاً وطبعاً أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة فتعيين ولي أمر عظيم ذي قوة وشوكة تلى الأمر العام ويكون مرجعاً للأمة في الأقضية و الأحكام وتصدر من الأمر ويطاع فيه من الخاص والعام، ويرد إليه ويصدر عنه فيما يتعلق بالأمن والخوف من أهل الإسلام، فتعيين الإمام الأعظم والسمع والطاعة له بالمعروف فريضة دينية وضرورة اجتماعية وفطرة في الخلق مرضية لما في ذلك من عظيم المصالح والردع عن القبائح فإن من مهام الولاية العامة في الإسلام إظهار الشعائر وإقامة الملة وتوحيد الأمة وصيانة البيعة وإيصال الحقوق وحفظ المحرمات، وكف الرعاع وفض النزاع وإقامة الحدود وتنفيذ الأقضية والأحكام وحماية الثغور وإقامة الجهاد وإجراء الصلح وعقد الهدنة والذمة ونبذ العهد وتحصيل الجزية إلى غير ذلك من مصالح الإسلام وأهله فإن الأمر والنهي والإلزام والكف لا يتم إلا بولاية وقوة ولا يكون ذلك إلا بوجود سلطان قادر مطاع بأي وسيلة من وسائل توليه سواء بعهد إليه من سلطان سابق أو تولى بأمر لاحق عن طريق الانتخاب والشورى، أو تولى بالغلبة والقهر للورى، فمن ولي الأمر العام وكان له قوة سلطان ينفذ فيهما أمره في الأمة، فيقيم الملة، ويحكم بالشريعة ويحفظ البيعة وتتحقق الهيبة، وجبت طاعته، وحرمت منازعته ولزمت إعانته، والنصح له، وأثم من خرج عن بيعته، أو خانه وغشه أو خرج عليه، أو حرض عليه، فإن من نزع يداً من طاعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فإن مات وهو كذلك فميتته جاهلية متوعد بأنه لا يريح رائحة الجنة، ومن خرج عن السلطان وأراد أن يفرق الأمة وهي مجتمعة، فإنه يضرب عنقه كائناً من كان، هذا ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السلف الصالح من الأمة، وهو وجوب من تعيين وال أعظم على الأمة ووجوب السمع والطاعة له بالمعروف والنصح له من جميع الأمة

---

(١) (يونس: من الآية ٥٧).

ووجوب الاجتماع عليه، وحرمت منازعته أو الخروج عليه أو التثبيط عنه والتهوين من شأنه أو الافتيات عليه.

يا عباد الله: ذلك لأن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر وأن السلطان ظل الله تعالى في الأرض قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}[1]، وقال صلى الله عليه وسلم:«من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»، وقال صلى الله عليه وسلم:«على المرء المسلم السمع والطاعة «يعني لولاة الأمور بالمعروف» فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية الله فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»، وقال صلى الله عليه وسلم:«عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ونشطك ومكرهك وعلى أثرة عليك» ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن ولاة الجور قال:«اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»، وقال صلى الله عليه وسلم:«أعطوهم الذي لهم واسألوا الله الذي لكم فإن الله سائلهم»، قال عليه الصلاة والسلام:«تسمع وتطع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» والنصوص من الكتاب والسنة والمأثور عن سلف الأمة في هذا الباب كثير.

معشر المؤمنين: ولقد اعتنى سلف الأمة بهذا الأمر العظيم حتى ذكر أهل السنة والجماعة ذلك في أصول اعتقادهم وقرروا من أصولهم اعتقاد وجوب نصب الأئمة ووجوب السمع والطاعة لهم بالمعروف. ووجوب النصيحة لهم وإعانتهم في أمر الولاية والرعية وتحريم الخروج وشق عصى الطاعة ومفارقة الجماعة فيقرروه رحمهم الله تعالى في مصنفاتهم نصب الولاية العامة وحقوق الولاية ومعرفة قدر الوظيفة وشؤم الشقاق والخروج عن الطاعة وذلك لما في الولاية والسمع والطاعة من حفظ الدين وصيانة الحرمات وإقامة الشعائر ودرء الفتن والشرور وتحصيل الهيبة واجتماع الكلمة وإغاظة العدو وتحصيل مصالح الدنيا والأخرى فإن كل هذه الأمور لا تتم إلا بالولاية العامة ومعرفة نعمة الله تعالى بوجود السلطان وقوته والقيام بحق هذه النعمة والحذر من موجبات زوالها وتبدلها بأضدادها فإن من عظيم البليات وبليغ العقوبات وموجبات الهلاك في العاجل والآجل الاستهانة بمنصب الولاية والخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة اتباعاً للهوى وإعراضاً عن الهدى وإصغاءً لأهل الأهواء فما أصاب الأمة فتنة ولا نقص الدين بنقيصة ولا عطلت الشعائر وانتهكت الحرمات

(١) (النساء: من الآية ٥٩).

وتسلط أعداء الدين بشيء أعظم من الخروج على الولاية ونـــزع اليد من الطاعة وتفريق الجماعة وإيقاظ الفتنة.

فحافظوا على الولاية وعظموا السلطان، وانصحوا الأئمة والأمة تطيعوا الرحمة، واصبروا على الجور والأثرة، واسمعوا للسلطان وأطيعوا أمره وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، تأمنوا وتمكنوا في الأرض وتنجوا من فتنة الدنيا وأهوال يوم العرض وتغيظوا الأعداء وتحققوا الاهتداء وتباينوا أهل الأهواء، ألا فاتقوا الله {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[1].

(١) (البقرة: ٢٨١).

تذكير المسلم بشيء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي من على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شـهيداً. وأشـهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنـه وسراجا منيرا، فبصر به العمى، وهدى به الضلالة وأغنى به من العيلة، وكثر به من القلة وأعز بـه من الذلة ورفع به قدر الأمة فجعلها بإتباع خير أمة، وأول من يدخل الجنة وأكثـر أهـل الجنـة، والشهيد على كل أمة صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنـزله معه أولئك هم المفلحون.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله خير لباس، واذكروا واشكروا نعمة الله عليكم إذ خصكم بنبوة رسالة نبيكم ورسولكم محمد صلى الله عليه وسلم خير الناس وسيد ولـد آدم علـى الإطلاق، وأشرف النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بالاتفاق ذي الأسماء الكثيرة العظيمـة الدالة على ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الأخلاق والخصال الكريمة، وما خصه الله تعالى من الخصائص العظيمة، وما كان عليه صلى الله عليه وسلم من السيرة الحكيمة فهو صـلى الله عليـه وسلم محمد الذي كثر من الناس حامدوه لكثرة خصال الخير فيه، وأحمد الناس لربه على إنعامه بـه وعليه، والماحي الذي يمحو الله به الكفر، والعاقب الذي يلي من قبله من النبيين والمرسـلين ولـن يبعث بعده نبي بشرع جديد إلى يوم الدين، والحاشر الذي يحشر الناس بعده إلى رب العالمين ونـبي الرحمة الذي تحققت ببعثته الرحمة، ونبي التوبة الذي يسر الله تعالى في شريعته أسباب التوبة، ونـبي الملحمة الذي بعث بجهاد أعداء الملة، محمد بن عبد الله المطلبي الهاشمي القرشي العـربي مـن نسـل الذبيح إسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليهم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أتم الصلاة وأزكى التسليم فهو الخليل ابن الخليل الحنيف بن الحنيف الذي لم يبلغ أحد من خلق الله مقامه ولن يسـاويه أحـد منهم منـزلته من الله يوم القيامة فقد كثر الله ونوع خصائصه وفضائله وإكرامه.

أيها الناس: لقد عرف نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم منذ نشأته وقيل بعثته بشرف النسب، وكرم الحسب، اتصافه بالنبل وما جبله الله عليه من الكرم والفضل، وتميز صلى الله عليه وسلم برجاحة العقل، وحسن الرأي، وسلامة الفطرة، ومحبته الخير للأمة واشتهر صلى الله عليه وسلم بالصدق والأمانة وصحة الفطرة والديانة حتى ذاع صيته وشاع صدقه واشتهرت أمانته وعرف

حياؤه وكرمه وعفته وتمكنت من القلوب محبته، وشهدت الألسنة بخيره وبركته ويمن طلعته وصدق الله العظيم إذ يقول في الذكر الحكيم {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(١).

عباد الله: لقد كانت عناية الله تعالى بعبده قبل البعثة وبعدها فوق ما يوصف الواصف، ويبين العارف وسبباً في حسد الحاسدين وهلاك المخالفين إن حبب الله إليه الخلوة والتعبد لربه وكان من كريم عناية الله تبارك وتعالى به صلى الله عليه وسلم بغض إليه الأوثان وكره إليه أمور الجاهلية، وعيبة الجاهلية، وكبريا قوية وبغيهم على غيرهم فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك فكان يعتزل قومه وما كانوا عليه من الشرك والضلال واللهو والغفلة ويتعبد بغار حراء الليالي ذوات العدد فصانه الله عن أن يسجد لصنم، وعن أن يشارك قومه فاحشة أو مأثم وكان لمدة ستة أشهر قبل نبوته لا يرى رؤيا إلا تحققت مثل فلق الصبح ثم لما كملت له رضي الله عنه أربعون سنة أشرق عليه نور النبوة، وأكرمه الله تعالى بالرسالة حيث أرسل الله تعالى الملك جبرائيل عليه السلام سيد ملائكة الله تعالى وأمينه على وحيه وعدو أشرار خلقه فجاءه وهو بغار حراء بقول الله تعالى {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(٢)، فنبئ صلى الله عليه وسلم باقرأ وهيئ للرسالة بالمزمل، وأرسل بالمدثر، فاختاره الله تعالى على علم لنوبته واجتباه لرسالته والله يعلم حيث يضع رسالته، وبعثه الله إلى عامة بريته بالمنهاج القويم والشرع المستقيم، والدين الكامل، والهدى الحسن الشامل فلا يقبل الله ديناً غير دينه، ولا هدياً خلاف هديه إلى يوم القيامة، فلا يبدل دينه ولا ينسخ، ولا يأتي أحد بأحسن من هديه حتى يلتقم الملك القرن وينفخ، لأنه صلى الله عليه وسلم أمين الله على وحيه وسفيره في تبليغ رسالته إلى عباده ويشهد الله له بالعصمة، فأيده بالكتاب والحكمة وائتمنه على النبوة والرسالة، وأيده على دعوته بأنواع الآيات وفنون البراهين الساطعات وكان أعظم آية أيدها الله بها هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم والكتاب الكريم الذي جعله الله تبياناً لكل شيء وهدى في كل شيء والذي تعهد الله بحفظه بمعناه ولفظه وقال عنه ما تعلمون {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(٣)، {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(٤)، قال تعالى

---

(١) (القلم: ٤).

(٢) (العلق: ١ – ٥).

(٣) (الحجر: ٩).

(٤) (فصلت: ٤٢).

{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنـــزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[1]، فما أنـــزل الله كتاباً قبله مثله بياناً وتفسيرا وتحدى المخاطبين واللاحقين أن يأتوا بمثله لو كانوا بعضهم لبعض ظهيرا، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم:«ما بعث الله نبياً قبلي إلا أتاه من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة»، فكان هذا القرآن العظيم أعظم الآيات...، وأنفع الآيات وأحسنها وأبركها أثراً.

أيها المؤمنون: ثم أيد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالسنة التي هي الـــوحي الثـــاني، تبيانـــاً للقرآن، وتكميلاً للبيان وأسوة لأهل الإيمان، وتقريراً للصواب وتصحيحاً للخطأ في فهم الكتـــاب، وتذكرة لأولي الألباب.

معشر المؤمنين: ولقد كمل الله تعالى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم مراتب الوحي وهدى بـــه الرشد من الغي فكانت أولى تلك المراتب الرؤيا الصادقة لمدة ستة أشهر فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح فكانت توطأة للوحي وتهيئة للنبي صلى الله عليه وسلم.

أما الثانية من مراتب الوحي فهي: ما كان يلقيه الملك في روعه صلى الله عليه وسلم وقلبه مـــن غير أن يراه كما قال صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في رُوعي أنه لن تموت نفس حـــتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته.

معاشر أهل التقوى: وأما المرتبة الثالثة من مراتب الوحي فهي أن يتمثل الملك للنبي صلى الله عليه وسلم رجلاً فيأتيه في صورة بشر فيكلمه بالوحي الذي أرسل إليه سواء كان صلى الله عليه وســـلم في حال خلوته كما في غار حراء أو هو صلى الله عليه وسلم في الجماعة كما في قصة مجيء جبرائيل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وسؤاله عن الإســـلام والإيمـــان والإحســـان وغيرهما.

معشر المؤمنين: وأما المرتبة الرابعة من مراتب الوحي فهي أن يأتي الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل صلصلة الجرس وهو أشد أنواع الوحي عليه حيث يتلبس به الملك فيوحي إليه فيعـــي ما قال ثم ينفض عنه وإن جبينه صلى الله عليه وسلم لينتفض عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى أن راحلته لتبرك به على الأرض من ثقل ما يأتيه من الوحي إليه الموحى من خالقـــه وربـــه ومرســـله وهادي.

---

(١) (العنكبوت: ٥١).

أمة الإسلام: وأما المرتبة الخامسة من مراتب الوحي فهي أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم الملك في صورته التي خلقه الله عليها فيوحي إليه ما شاء الله من الوحي وهذا وقع للنبي صلى الله عليه وسلم مرتين كما ذكر الله تعالى في سورة النجم {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[1] إلى قوله تعالى {وَلَقَدْ رَآهُ نـــزلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}[2] الآيات.

أمة محمد صلى الله عليه وسلم: أما سادس مراتبها وأشرفها وكلها شريفة هي إيحاء الله إليه بدون واسطة كما في قصة فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج وفيها قال الله تعالى له: إني أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ}[3].

فبهذه لمراتب من الوحي أنـــزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما.

أمة الإسلام: ولقد تعهد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بجمع القرآن له في صدره وقرأته عليه وبيانه له فقال تعالى {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}[4]، ولقد أوفى الله عهده وصدق وعده، فكمل وحيه وبينه ويسر حفظه وحفظه معناً ولفظاً وبقاءه إلى أن يرجع إليه.

أمة الإسلام: ولقد كلف الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تبليغ وبيان فكل ما أوحى الله إليه من دينه وبيانه لكم في حينه فقال تعالى {يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنـــزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}[5]، كما ضمن الله تعالى لكم عصمة نبيه صلى الله عليه وسلم في كل ما يبلغكم من الخطأ فقال تعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[6].

أمة محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم كل ما أنـــزل إليـــه أكمـــل بلاغ وبيانه بياناً شافياً لم يترك بعده بغية لباغ فبينه صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وتقريراتـــه وأحواله، وإنكاره الخطأ وهدايته للصواب فيه وتفسيره النص لمن أشكل عليه، فبين صلى الله عليـــه وسلم بياناً قامت به الحجة واتضحت به المحجة وزالت به المعذرة، ولزم العمل به بلا تأخر واستشهد

---

(١) (النجم: ٤).

(٢) (النجم: ١٣ – ١٤).

(٣) (ق: من الآية ٢٩).

(٤) (القيامة: ١٦ – ١٩).

(٥) (المائدة: من الآية ٦٧).

(٦) (النجم: ٣ – ٤).

النبي صلى الله عليه وسلم الأمة عليه في أشرف جمع حضره والله تعالى شاهد على الجميع وقاضي في أمره فقال صلى الله عليه وسلم إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ فقالوا نشهد أنك قد بلغـــت ونصحت وأديت فرفع صلى الله عليه وسلم أصبعه إلى السماء ثم نكثها عليه فقال الله اشهد عليهم.

من حِكم الابتلاء، وصفة أهل التقوى
وخصال الأشقياء

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين أحمده سبحانه على قدرته القاهرة، وحكمته الباهرة، وأشكره على نعمه السابغة المتكاثرة، الباطنة منها والظاهرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي يرحم الصابرين عند البلاء، ويزيد الشاكرين للنعماء، ويلطف بالمؤمنين في القضاء، ويهلك الظانين بالله تعالى ظن السوء بالسوئا، ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء.

وأشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى، ورسوله المجتبى، إمام الصابرين، وسيد الشاكرين، وأكمل المؤمنين المتوكلين على رب العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، خيار الأمة في الصبر والشكر، والتقوى والبر، والجهاد والذكر والثبات والطمأنينة والطاعة والسكينة في العسر واليسر.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله، وتحلوا بما يحبه ويرضاه، وتخلوا عن كل ما يسخطه ويأباه، وآمنوا بما يجري به القدر، وخذوا من دنياكم ونفوسكم الحذر، ولا تستبدلوا ما هداكم الله له من الطاعة بالمعصية فتحل بكم الغير، شأن من لم يشكر، بل جحد وكفر {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ}[1] {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[2].

عباد الله: كم من الناس من نقض ما في قلبه من التوحيد بالذهاب إلى الساحر الكفور العنيد، والاعتماد في حظه على المنجم وكل شيطان مريد، وكم من الناس هجر الصلاة في المساجد ورضي أن يصليها إن صلاها بجوار النساء القواعد، وكم من الناس من استبدل سماع القرآن بالأغاني والمعازف مزمور الشيطان، وكم من الناس من يوقع على عقد الربا يحارب به الله ولا يبالي بما تهدد الله به المربين من المحق واللعن، والحرب والنار التي أعدت للكافرين، وكم من الخلق من استبدل النكاح بالزنى الذي هو الدياثة والسفاح، فما أجرأهم على الله، وكم من الناس من يخلط المشروبات الطيبات بالخمور والمخدرات متعدياً لحدود الله، ألم يبدل هؤلاء نعمة الله كفرا، ويتركوا الحق ويردوه بَطَراً، فيا ويحهم غداً يوم القدوم على الله وقد ذهبت السكرة، وتبدلت اللذة بالحسرة،

---

(١) (إبراهيم: ٢٨ – ٣٠).

(٢) (الأنفال: ٥٣).

وذهب المال والجاه، وارتهن كل أحد بما قدمت يداه، يوم لا تقبل منهم معذرة، وليس لهم من دون النار سترة، بل كل منهم مقر بما جناه، ويود لو يفر من مكانه ولو جعل فيه أمه وأباه.

عباد الله: إن الله تعالى قد خلقكم للعبادة، وأسبغ عليكم النعمة، وأمركم بالتوحيد والطاعة، ووعدكم بكريم المثوبة، وأنذركم أليم العقوبة، وجعل دنياكم هذه مشتملة على كريم المنح وجليل العطايا، وألوان المصائب وعظيم البلايا، وأصناف المحن، والرزايا، فالناس فيها يتقلبون بين كرب وفرج، وعسر ويسر، وما بين شدة ورخاء، وضراء وسراء، ومرح وترح، وضحك وبكاء، فهي دار تتقلب وتتلون بأهلها، فتتجدد فيها الحادثات، وتتنوع فيها الابتلاءات وتمر بأهلها المتضادات، ليعتبر بها المعتبرون، ويغتر بها المغترون، ويغتنمها الموفقون، ويهلك بها المسرفون، فيتميز بذلك التقلب والابتلاء، العقلاء من السفهاء، والأتقياء من الأشقياء، والأبرار من الفجار، فيظهر عدل الله في الجزاء، وفضله على من يشاء، كما قال تعالى {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[1]، وقال سبحانه {لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}[2]، وقال جل ذكره {لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}[3]، وقال جل ذكره {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}[4]، وقال تعالى {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[5]، وجعل سبحانه يوم القيامة ميعاداً للجميع، فيه يجمعون، وإلى الله يحشرون، فيجزيهم بما كانوا يعملون، ليجزئ الذين أساءوا بما عملوا ويجزئ الذين أحسنوا بالحسنى.

عباد الله: إن الابتلاء بالمتضادات، باختلاف الأحوال والأوقات، والمكاره والمحبوبات، والرخاء والشداة، وتيسير سبل الطاعات، والدلالة على أنواع الأعمال الصالحات، وشرف الأحوال والأوقات، كل ذلك لتميز الناس في هذه الدار، حتى تكاد تعرف أهل الجنة من أهل النار.

عباد الله: أهل الجنة تقي موفق من سلطان مقسط، وغني متصدق، وشخص هين لين رحيم القلب بكل ذي قربى ومسلم، وأهل النار شقي موبق من غليظ جزوع، ومستكبر جموع منوع.

---

(١) (الأنبياء: من الآية ٣٥).

(٢) (المائدة: من الآية ٤٨).

(٣) (الحديد: ٢٣).

(٤) (محمد: ٣١).

(٥) (العنكبوت: ٢ – ٣).

أهل الجنة هم الذين يصبرون لله وبه على المضار وما يشكرون الله تعالى ويحسنون عند المسار، وأهل النار هم الذين إذا شبعوا بطروا، وإذا رزقوا كفروا، وإذا اختلطوا بالناس تكبروا، وإذا أصيبوا جزعوا، وإذا أغناهم الله من فضله منعوا.

وأهل الجنة: هم الذين يتركون الحرام، ويتقون المتشابه خوفاً من هول يوم القيامة، وأهل النار هم الذين يأخذون عرض الأدنى، ولو كان محرماً بيناً، ويقعون في المتشابه ويقولون سيغفر لنا.

معشر المسلمين: أهل الجنة من الرجال هم: الذين يبكرون إلى المساجد بالغدو والآصال، ومن النساء هن المتصدقات المتعففات اللائي يحذرن مخالطة الأجانب من الرجال، وأهل النار من الرجال هم الذين يتخلفون عن الصلاة في المساجد فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«شر صفوف الرجال آخرها»، وقال:«لا يزال أقوام يتأخرون عن المساجد حتى يؤخرهم الله» وفي رواية «إلى النار». وأهل النار من النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، وبالجملة فأكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروا النعماء، واصبروا على البلاء، واقبلوا الهدى، وتحلوا بخصال أهل التقوى، واعلموا أن المبشرات بالخير كثيرة، والنذر للعصاة بسوء الخاتمة شهيرة فمن المبشرات بالخبر الحرص على العلم النافع، ومجاهدة النفس وتحقيقها للعمل الصالح، والثناء الحسن على ألسنة الصالحين، وخاصة أهل المساجد فإنهم شهداء الله في أرضه، من أثنوا على خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنوا عليه شراً وجبت له النار، وإن من النذر بسوء الخاتمة الإصرار على الآثام، والاستمرار في أكل الحرام، وصحبة الأشرار، وشرب الخمر الذي يسقى به صاحبه يوم القيامة عصارة أهل النار، ومن النذر أن يزني الرجل بعد مشيبه، وأن يقطع صلة رحمه وقريبه، وأن يتابع الخطايا ويسوف بالتوبة.

معشر المؤمنين: اتقوا الله تفلحوا، واعملوا صالحا تربحوا، واصبروا تؤجروا وتهتدوا، واشكروا تحفظوا أنعمكم وتزادوا، وتشبهوا بأهل الصلاح تلحقوا بهم، ولا تشبهوا بالأشرار حتى لا تحشروا معهم، ألا فاتقوا الله، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

في الابتلاء وحكمته

الحمد لله وكفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي جعل الحياة الدنيا دار فتنة وابتلاء يتميز بهما السعداء والأشقياء، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى الذي أخبر أن أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم يبتلي المرء على قدر دينه.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله فإنه {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[١]، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}[٢]، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}[٣].

أيها الناس: إن فيما يبتلى به الناس في هذه الدنيا التعرض للكروب والشدائد من فقد حبيب أو تلف نفيس أو الإصابة بمرض حابس، أو التعرض للدين والغرم الكبير، أو الابتلاء بظالم أو ضيق ذات يد إلى غير ذلك من صنوف الابتلاء التي يبتلي الله بها العباد والحكم عظيمة منها أن يعرف المرء نفسه وحاجته إلى ربه تبارك وتعالى وأن حيلته وأمواله وأسبابه ومنصبه وصحته لا ترد عنه قدر الله ولا تنجيه مما أراد الله به وأنه فرد من أفراد ملك الله العظيم المدبر بتدبير العليم الحكيم.

عباد الله: لقد وردت في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تبين هذه الحقيقة وتوجه إلى التعامل معها بأفضل طريقة قال تعالى {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[٤].

وقال تعالى {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[٥]، وقال تعالى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}[٦]، وقال تعالى {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

---

(١) (الطلاق٢: من الآية ٣).

(٢) (الطلاق: من الآية ٤).

(٣) (الطلاق: من الآية ٥).

(٤) (البقرة: ١٥٠ – ١٥٧).

(٥) (آل عمران: ١٨٦).

(٦) (آل عمران: ١٤٢).

الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[1] وقال تعالى {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ}[2].

عباد الله: وكم في السنة النبوية من الأحاديث الصحيحة المروية التي تبين أن الابتلاء سنة كونية ماضية وأنه مما تكفر به خطايا المؤمنين وترفع به درجات الصابرين كقوله صلى الله عليه وسلم:«من يرد الله به خيرا يصب سنة»، وقوله:«لا يزال البلاء بالقوم في نفسه وأهله وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» إلى غير ذلك من النصوص التي تبين حكمة الابتلاء وأنه من تدبير الله لخلقه وملكه ويفعل الله ما يشاء من الابتلاءات التي يجريها الله وأنه تعالى ليعُرف الناس أنفسهم ويذكرهم بحاجتهم إلى ربهم ويكفر بها خطيئات قوم ويضاعف بها حسنات آخرين ويرفع بها درجات المتقين الصابرين وينقيهم الله بها من المجرمين ويجعلها أنموذجاً لكرب الموت والصبر ويوم القيامة تذكرة للظالمين ودلالة عظيمة على قدرة وبطش ذي القوة المتين.

عباد الله: لقد أخبر الله تبارك وتعالى عباده بأنه وحده هو الذي ينجي من الكرب والملمة والخطوب الملهمة {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ}[3] وقال تعالى {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}[4].

أيها المسلمون: ولقد أكثر الله جل وعلا من ذكر نماذج لطفه بعباده بكشف الكروب وتحقيق المطلوب وأبدى في ذلك وأعاد تذكيراً بعظيم القدرة وحظاً على استلهام العبرة، وتنبيهاً على سابغ النعمة ولتكون على بال المؤمن عند كل كرب وغمه وحسبكم من ذلك قوله تعالى عن نبيه ورسوله أيوب عليه السلام في كتاب مبين {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}[5]، وما أخبر به تبارك وتعالى عن نبيه ورسوله يونس عليه السلام الذي تذكر عظيم قدرة الله تعالى وخفي لطفه وأيقن لسمع الله تعالى للدعاء وقدرته على كشف الكرب والبلاء وأحسن

---

(١) (العنكبوت: ١ – ٣).

(٢) (الرعد: من الآية ٣١).

(٣) (الأنعام: ٦٣ – ٦٤).

(٤) (النمل: ٦٢).

(٥) (الأنبياء: ٨٣ – ٨٤).

الظن بالله جلا وعلا فظن أن الله تعالى لن يضيق عليه فنادى وهو في الظلمات {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ} «ظلمة بطن الحوت وظلمة قاع البحر وظلمة جنح الليل» {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[1] فكان الله تعالى عند حسن ظنه به {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}[2]، ولقد أنجى الله خليله إبراهيم عليه السلام من النار وأظهر خليله محمد صلى الله عليه وسلم ممن حاصروه لقتله من الكفار، ففي ذلك أبلغ مدكر لمن أراد أن يتذكر.

أيها المؤمنون: وكم في صحيح السنة من الأحاديث المذكرة بقدرة الله تعالى على تفريج الكرب وكشف الغمة والمنبهة على الأسباب النافعة للمؤمن عند كل من الهمة وأن أعظم تلك الأسباب إخلاص الدعاء والعمل الصالح ابتغاء وجه الله جل وعلا وتنفيس كرب المكروبين والتيسير على المعسرين في هذه الحياة الدنيا، ففي هذا الحديث الصحيح عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت:«قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك كلمات تقولينها عند الكرب أو في الكرب «الله ربي لا أشرك بربي أحدا»، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب:«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم»، وفي المسند بإسناد صحيح عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال:«سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلمة لا يقولها عبد عنده موته إلا فرج الله عنه كربته» وأشرق لونه «أي الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب حين حضره الموت» لا إله إلا الله، وكان صلى الله عليه وسلم حين يرقي المريض يقول:«أمسح أو وأذهب البأس رب الناس، بيدك الشفاء، لا يكشف الكرب إلا أنت» رواه أحمد وأصله في الصحيحين.

أيها المؤمنون: وأما أثر العمل الصالح في تنفيس الكرب وسرعة لطف الرب فدليله قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين أنجاهم الله تبارك وتعالى بتوسل أحدهم إلى الله جل وعلا ببر والديه وتوسل الثاني بعفته عن الزنا وتوسل الثالث بأداء الأمانة وحفظ تنمية مال أخيه.

أمة الإسلام: وأما التيسير على المعسرين والتنفيس عن المكروبين فإن أثره عجيب في سرعة الفرج عند الكرب والخروج من عظيم الخطب فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال:«سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة

---

(١) (الأنبياء: من الآية ٨٧).

(٢) (الأنبياء: ٨٨).

فلييسر على معسر أو يضع عنه»، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»، وفي المسند بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر».

البر حقيقته وخصاله

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله العظيم والزموا البر فإن الله تعالى هو البر الرحيم {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}[١].

عباد الله: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[٢].

عباد الله: البر اسم جامع للخير كله فيشمل الإيمان والتقوى والطاعة والصدق والوفاء فهو خير الدنيا والآخرة معا، فخير الدنيا ما يسره الله للعبد من الهدى والنعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالمغفرة والرحمة والرضوان والنعيم في والجنان.

معشر المسلمين: البر الإيمان والتقوى والبر الطاعة التي ترضى وإنفاق المال إبتغاء وجه الله جل وعلا فلن تنالوا البر حتى تؤمنوا وحتى تتقوا، ولن تنالوا البر حتى تحسنوا وتنفقوا، {ومن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[٣]، {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}[٤].

معشر المؤمنين: البر زيادة في العمر، وبركة في العمل، ومثراة في المال، وكثرة في النسل، ومحبة في الناس، ومودة في صدور المؤمنين، وسعة في الرزق، وسبب في حسن الخاتمة، ومنجاة من عذاب الله في البرزخ وفي الآخرة وسبيل إلى رضوان الله والجنة، جعله الله تعالى ميداناً فسيحاً لتنافس المتنافسين وسبباً جامعاً لسعادة الدارين.

---

(١) (المطففين: ٢٢ – ٢٨).

(٢) (البقرة: ١٧٧).

(٣) (النور: ٥٢).

(٤) (الروم: من الآية ٣٩).

أمة الإسلام: أعلى خصال البر صلاح النية واتباع السنة يقول تعالى {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[1] ويقول سبحانه {فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[2].

أمة الإسلام: ومن أعظم خصال البر بعد الإخلاص والسنة وأصول الإيمان وأركان الإسلام بر الوالدين بطاعتهما في غير معصية الله والإحسان إليهما ابتغاء وجه الله وحسن الأدب معهما والدعاء لهما، وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي توصل إلى برهما قال تعالى {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} إلى قوله {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[3].

معشر المؤمنين: وإن من البر صلة الأرحام والإحسان إلى المساكين والأيتام، حسن الجوار لأهل الإسلام، ومن له أو ذمة من الأنام بكف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه عند اللقاء، وإفشاء السلام، وطيب الكلام، وإطعام الطعام، وإسداء النصيحة، ومنح المنيحة، وإبرار المقسم، والبعد عن المأثم، وأسباب المغرم، وعيادة المريض وإتباع الجنازة، وحيازة... له خير حيازة فكل ذلك بر جزاءه الجنة فما أعظم المنة.

معشر المؤمنين: وإن من البر لزوم السكينة عند الإتيان إلى الصلاة، وفي أداء سائر العبادات قال صلى الله عليه وسلم «أيها الناس عليكم السكينة فإن البر ليس بالايضاع يعني الإسراع».

معشر المؤمنين: وإن من البر الصدق والبيان في البيوع وغيرها من التعاملات فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»، وقال صلى الله عليه وسلم «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين»، وقال عليه الصلاة والسلام:«أيها التجار إن التجار هم الفجار، أو قال يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وبر وصدق».

ألا فاتقوا الله عباد الله، وتنافسوا في خصال.

---

(١) (البقرة: ١١٢).

(٢) (الحج: ٣٤ – ٣٥).

(٣) (من الآية ٢٣ – ٢٤).

الغيبة بلية ومصيبة

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله حق التقوى واستمسكوا بالإسلام العروة الوثقى، واحذروا الغيبة فإنها تجلب لكم عذاب النار وأجسامكم على النار لا تقوى واعلموا أن الغيبة محرمة لم يستثنى في الشرع منها إلا ما كان بين اثنين حيث يذكر الإنسان غيره بسوء بما يكره للحاجة الداعية إلى ذلك.

عباد الله: الغيبة هي الوقيعة في الناس سميت بذلك لأنها لا تقال إلا في حال الغيبة ولهذا عرفها بعض أهل العلم بقوله «هي ذكر العيب بظهر الغيب»، وحقيقتها: ذكر الإنسان غيره «من غير محوج لذكره» بما يسوءه لو بلغه سواءً ذكره بما يكره في نفسه أو دينه أو عقله أو خلقه أو لبسه وهيئته أو في دنياه من أهله وولده وماله ونحو ذلك من شأنه وسواءً أكان ذكره بما يكره بالمقال أو بالإشارة والأفعال ولهذا عرفها النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام باختصار تعريفاً جامعاً مانعاً فقال صلى الله عليه وسلم «هي ذكرك أخاك بما يكره، قيل يا رسول الله: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال صلى الله عليه وسلم: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» فبين صلى الله عليه وسلم أن المتكلم عن الغائبين بما يكرهون ظالم بكل حال! فإما بالغيبة وإما بالبهت وكلاهما ذنب خطير وإثمه كبير وشره مستطير، وكيف يجرؤ المتكلم في الغائبين على معصية الله تعالى في حق إخوانه والله عليه رقيب شهيد لا يخفى عليه شيء وهو السميع البصير، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وإن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور.

معشر المسلمين: الغيبة كبيرة من كبائر الذنوب نهى عنها ربكم علام الغيوب بقوله {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} وشبهها سبحانه محذراً منها منفراً عنها بقوله {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}[1] ففي ذلك أبلغ الزجر عنها والحض على المبادر بالتوبة منها للتخلص من شرها وشؤمها في العاجلة والآجلة.

معشر المسلمين: إنما يقع في غيبة الناس الجبناء، ومرضى القلوب والنفوس واللئام والمتجبرة الجبناء الذين يحبون الظلم والبغي، والحسرة والمعارضون لله تعالى في قدره وقسمته وأشباههم ممن يشعرون بالدونية والنقص فيغتابون غيرهم ليرفعوا أنفسهم، أو من قلوبهم مليئة بسوء الظن أو فيهم خور يحملهم على مجاملة أقرانه أو جلسائه فيغتابون الآخرين أو يسكت فلا ينكر ومجاملتهم ولو في معصية رب العالمين غيبتهم أو يهتم مجاملة لهم في معصية رب العالمين وظلم الآخرين.

---

(١) (الحجرات: من الآية ١٢).

أيها المؤمنون: إن الغيبة كلها إثم مبنية على إثم، فهي ظلمات بعضها فوق بعض فإنه مما يحمل الشخص غيبة غيره عدة أمور إما الخصومة التي تحمل المرء على التشفي من خصمه بغيبته وبهته، أو مجاملة الأقران والجلساء إذا وقعوا في الغيبة والبهتان، وإما سوء الظن الذي يحمل سيء الظن على غيبة صاحبه لسوء اعتقاده فيه وحكمه الباطل على سريرته أو شعوره بنقص في نفسه فيغتاب أنداده ليظهر فضله عليهم عند مجالسيهم أو قناعته بعيب في نفسه يعترف به قد فشل في التخلص منه فيغتاب الآخرين ليشعر الحاضرين بمشاركة أولئك له بالعيب الذي فيه.

معشر المؤمنين: وقد يحمل الشخص على غيبة الآخرين حسرة لهم على ما آتاهم الله وفضله به عليه وهذا اعتراض على الله قدر الله تعالى وتدبيره وشؤمه يعود على المغتاب من جهتين من جهة إثم الغيبة وجهة إثم اعتراضه على ربه في قدره وقسمته.

معشر المؤمنين: ومن شر الغيبة أن بعض الناس قد يغتاب غيره مستهزئ ساخراً ليضحك الحاضرين مما ينتقص به الآخرين ويغضب به رب العالمين.

أيها المؤمنون اتقوا الغيبة فإنها كلها شؤم ولإثم مصنفة من كبائر الذنوب والعظام التي عصى بها علام الغيوب ذلكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعلها عديله الظلم بقتل النفس وأخذ المال بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» قوله صلى الله عليه وسلم في مكة البلد الحرام في الشهر الحرام في يوم حرام «إن دمائكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم في شهركم هذا» وكفى بذلكم زجراً عن الغيبة وتنبيهاً على خطر تلكم الغيبة.

معشر المؤمنين: ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال:«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلا إنه أما أحدهما فكان لا يستنزه أو قال لا يستبرئ أو قال لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» والغيبة هي أصل النميمة ومقدمتها، والنميمة نتيجة الغيبة وثمرتها.

عباد الله: ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس من أصحابه رضي الله عنهم فارتفعت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم:«أتدرون ما هذه الريح، ريح الذين يغتابون المؤمنين» رواه الإمام أحمد والطبراني وصحح الحافظ بن حجر إسناده، وقال صلى الله عليه وسلم محذراً من الغيبة:«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» وفي ذلكم التوجيه النبوي الكريم تنبيه على أن الغيبة نوع من النفاق وأنها من أسباب أن يفضح المغتاب في بيته وذلكم العقاب

المعجل قبل أن تبلغ الروح التراق وفي المسند وغيره بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم «قال من أربى الربا «أي أظلم الظلم» الاستطالة في عرض المسلم بغير حق» وفي المسند كذلك قال صلى الله عليه وسلم:«لما أُعرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»، وفي الطبراني بإسناد جيد «كما قال المنذري» عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«من ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه» فاتقوا الله معشر المؤمنين واتركوا الغيبة وتوبوا إلى ربكم مما اقترفتم منها فإنها داء، وداهية دهياء، تذهب الحسنات، وتجلب السيئات، وتكشف العورات، وتفرق المؤمنين، وتغضب رب العالمين داعية للشرور وجالبة للخسران والإفلاس والحسرة يوم النشور {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}[1].

(١) (الفرقان: ٢٧ – ٢٩).

الأذى حقيقته وحكمه وأنواعه وعظم إثمه

الحمد لله الذي يهتدي من اهتدى فضلا، ويضل من اعتدى ونأى عن الهدى عدلا، أحمده سبحانه أن أتقن ما صنع، وأحكم ما شرع، وله الحكمة البالغة في تدبيره لملكه وخلقه أجمع، وأشكره جل ذكره على نعم كثيرة كبيرة غزيرة لا تحصى، وآلاء متجددة مترادفة تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الأسماء الحسنى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى.

واشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما تامين كاملين متجددين ما تجدد الليل والنهار وتعاقب العشى والإبكار ولهج اللاهجون بالاستغفار في سائر الأناء وبالأسحار.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله فقد أفلح من اتقى بكل خير في الدنيا والأخرى، واتركوا الأذى، فإن ترك الأذى من أكرم خصال التقوى، وإنه منجاة من الهلكة والخزي والشقوة والعذاب في الآخرة والأولى.

عباد الله: الأذى في اللغة هو فعل ما يكره، وترك القرار على حال محمودة، فهو فعل الاستمرار على ما يؤذي من لا يستحق الأذى قولاً أو فعلاً، أما الأذى في الاصطلاح هو إيصال الضرر والمكروه إلى من لا يستحقه في نفسه أو قنيته دنيوياً أو أخروياً، وقد ورد استعمال لفظ الأذى في القرآن لمعاني عدة منها: المن بالصدقة، والشدة والمحنة، والسباب والشتيمة، والغيبة والنميمة وبمعنى الجفاء والمعصية في حق الله ورسوله وبمعنى الزور والبهتان على البرئ، والإثقال على الناس، والاستهزاء والتعذيب الذي يبتلى به المهتدي من الناس.

أيها الناس: إن إيذاء الآخرين «بغير حق» جرم موجب للعنة والإثم، ومحبط لبعض الأعمال ومقتضي للغرم، وزيغ القلوب والندم قال الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[1]، وقال تعالى {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[2]، وقال

(١) (الأحزاب: ٥٧ – ٥٨).

(٢) (الصف: ٥).

تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[1]، وقال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}[2].

أيها المسلمون: إن من الناس من يؤذي الله جل وعلا بأن يسمعه من الكلام ما لا يحب ولا يرضى كقول الذين قالوا اتخذ الله ولدا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا قال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا}[3]، وفي الحديث لأحد أصبر على آذى سمعه من الله يرزقهم ويعافيهم ويدعون له ولدا، وفي الحديث القدسي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى:«يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»، وفي السنن لأبي داوود بإسناد صحيح أن رجلاً أم قوماً فبصق في القبلة... الحديث وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إنك قد آذيت الله ورسوله».

معشر المسلمين: وأذى المؤمنين كبيرة من كبائر الذنوب تبيح لهم أن يلعنوا مؤذيهم وتجلب للمؤذي غضب الله تعالى بسب أذاهم وإن كف الأذى عنهم صدقة من جليل الصدقات وحسنة رتب الله عليها المغفرة ودخول الجنان، قال صلى الله عليه وسلم:«اتقوا اللاعنين قالوا يا رسول الله وما اللاعنان قال البول في طريق الناس وفي ظلهم»، وعد صلى الله عليه وسلم إماطة الأذى عن الطريق من الصدقات ومع أنها من أذى خصال الإيمان فقد نال بها شخص المغفرة ودخل الجنة قال صلى الله عليه وسلم: وهو يذكر خصال الإيمان «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وقال صلى الله عليه وسلم:«وإماطة الأذى عن الطريق صدقة»، وقال صلوات الله وسلامه عليه:«بينما رجل يمشي بطريقه إذ وجد غصن شوك على الطريق فقال: والله لأنحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة»، وقال صلى الله عليه وسلم:«رأيت رجلاً يتقلب في الجنة بغصن شوك نحاه عن الطريق».

معشر المؤمنين: قال الربيع بن خيثم: الناس رجلان مؤمن فلا تؤذوه وجاهل فلا تجاهله». وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تفرحه فلا

---

(١) (التوبة: من الآية ٦١).

(٢) (البقرة: من الآية ٢٦٤).

(٣) (مريم: ٨٨ – ٩٤).

تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه. وقال غيره: اجعل كبير المسلمين عندك أبا، وصغيرهم أبنا، وأوسطهم أخا فأولئك تحب أن تسيء إليهم. وقال ابن كثير رحمه الله: تضمنت النصوص أن المسلم لا يحل إيصال الأذى إليهم بوجه من الوجوه من قول أو فعل بغير حق.

البيان لشأن السنة ومنـــزلتها من القرآن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفســـنا وســـيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه بإحسان وسلم تسليما.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا واسعوا لما فيه رضاه واستمسكوا بسنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وهداه، فإن السنة وحي ثان، وبيان للقرآن، وعصمة ونجاة لمن تمسك بها من الفتن على كل زمان ألا وإن الله تعالى قد جعل في هديه إتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسنته علامة على محبة عليها وسبباً لمحبته ومغفرته كما قال سبحانه في الذكر الكريم {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(١).

عباد الله: إن نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي المرسل والإمام المكمل الهادي إلى رضوان الله عز وجل فلا خير إلا دل الأمة عليه ورغبها فيه وكان صلى الله عليه وسلم أسوتها في المسارعة إليه ولا شر إلا نبه الأمة عليه وحذرها منه وزجرها عنه وكان صلى الله عليه وسلم أبعدها منه قال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم «والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له»، وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي»، ولقد نبه صلى الله عليه وسلم على ما سيحدث وما ينبغي للمسلم بعده من التغير والابتداع فقال:«إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» وقال تعالى محذراً من مخالفته {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم «من رغب عن سنتي فليس مني»، وقال صلى الله عليه وسلم «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني فقد دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»، وقال صلى الله عليه وسلم «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»، وكم في نصوص الكتاب والسنة ما يغري

---

(١) (آل عمران: ٣١).

(٢) (الأحزاب: ٢١).

(٣) (النور: من الآية ٦٣).

بالتمسك بالسنة ويضمن للمستمسك بها النجاة من الفتنة والهداية من الضلالة قال تعالى {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ}(١).

معشر المسلمين: ألا وإن تعمد مخالفة السنة أو الإعراض عنها عن قصد ممن استحسنه عن إمارات الضلال وموجبات الخزي والعذاب والنكال قال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}(٢) وقال الحق سبحانه {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٣) وقال جل شأنه {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ}(٤) وقال تبارك اسمه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}(٥).

يا أيها المؤمنون: ولقد تواترت عن جماعة من السلف، من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم والوصية بالسنة والتحذير من شؤم المخالفة والبدعة، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»، وقال أبو قلابة رضي الله عنه «إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعانا من هذا وهات من كتاب الله فاعلم أنه ضال»، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:«لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وقال الإمام مالك رحمه الله:«السنة سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:«أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد» وقال الإمام أحمد رحمه الله: «من رد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة»، وقال الإمام البربهاري رحمه الله:«إذا سمعت الرجل يطعن في الآثار أو يريد الآثار يعني الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوى وبدعه».

---

(١) (النور: من الآية ٥٤).

(٢) (الأحزاب: ٣٦).

(٣) (النور: من الآية ٦٣).

(٤) (التوبة: ٦٣).

(٥) (الحجرات: ٢).

الهداية حقيقتها وأسبابها وثمراتها

الحمد لله الذي يهدي من يشاء بفضله إلى صراط مستقيم، ويضل من يشاء بعدله عن النهج القويم.

أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه من كل ذنب وأستغفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أولي الألباب والنهى.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله واطلبوا الهدى من الله، فإن من اهتدى في هذه الحياة الدنيا، اهتدى إلى منازلة في الجنة في الأخرى، يقول الحق تبارك وتعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[1] وقال سبحانه {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ}[2].

عباد الله: من يهدي الله فهو المهتد ومن يهدي الله فلا مضل له، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وكفى بربك هادياً ونصيرا {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنزلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[3] فصار الناس فريقين قال الله تعالى {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}[4]، فمن هداه الله فالفضل لله عليه، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون، فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم، ومن أضله فبعدل الله فيه فإن الضلال قالوا {أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا

---

(١) (محمد: ١٧).

(٢) (يونس: ٩ – ١٠).

(٣) (البقرة: ٢١٣).

(٤) (الأعراف: ٣٠).

وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[1]، {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[2]، {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[3].

عباد الله: الاستهداء طلب الهدى، والهدى من الله هو التوفيق القبول الحق وانشراح الصدر به ونطق اللسان به ومحبته وانقياد القلب والجوارح للعمل به وبغض وكراهة والبراءة مما يضاده أو ينقص كماله فهو التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح الذين بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بهما كما قال تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}[4].

أيها المسلمون: إن للهداية أسباب يتعين على العاقل أن يأخذ بها حتى يرزق الهدى ويجنب الشقى فمن أسباب الهداية تلاوة القرآن وتدبره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[5] وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين.

ومن أسباب الهداية عمارة المسجد بالبناء والتردد عليها لأداء الصلوات وأنواع الطاعات التي شرعها الله فيها {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}[6].

معشر المؤمنين: ومن أسباب الهداية تخليص الإيمان والأعمال من التوجه بها أو شيء منها لغير الله تعالى قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[7].

ومن أسباب الهداية المبادرة إلى طاعة الله تعالى عند دخول وقتها أو وجود مناسبتها أو الدعوة إليها أو العلم بها قال تعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[8]، وقال سبحانه {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى}[9].

---

(١) (التغابن: من الآية ٦).

(٢) (الصف: من الآية ٥).

(٣) (النحل: ١٠٤).

(٤) (الفتح: ٢٨).

(٥) (البقرة: ٢).

(٦) (التوبة: ١٨).

(٧) (الأنعام: ٨٢).

(٨) (محمد: ١٧).

(٩) (مريم: من الآية ٧٦).

أمة الإسلام: ومن أعظم أسباب الهداية الاسترجاع عند المصيبة والتسليم لله تعالى في قدره وقول الخير بمناسبته قال تعالى {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[١] وقال سبحانه {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}[٢].

أيها المؤمنون: ومن أسباب الهداية للحق إتباع القرآن والسنة والتمسك بها قال تعالى {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}[٣]، {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٤]، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي».

معشر المؤمنين: وكم في الضراعة إلى الله بطلب الهدى والتثبيت على الحق من تحقق الهدى والثبات على الحق قال عز وجل عن أولي الألباب {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}[٥]، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:«يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم».

---

(١) (البقرة: ١٥٦ – ١٥٧).

(٢) (التغابن: من الآية ١١).

(٣) (طه: من الآية ١٢٣).

(٤) (البقرة: من الآية ٣٨).

(٥) (آل عمران: ٨).

التقوى والحرص على ما ينفع وتعاطي أسبابها

الحمد لله {الذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}[1]، أحمده سبحانه على حسن خلقه وإتقان صنعه وسعة علمه وبالغ حكمته وعظيم قدرته ونفوذ مشيئته فهو العلي القدير. وأشكره تعالى على نعم مسابغة متواصلة تترى في الصباح والبكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في خلقه وملكه وتدبيره وفعله واسمه ووصفه وإلهيته وعبادته ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير. وأشهد أن محمدً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أولي الهمم العالية والعزائم الماضية والسبق إلى كل خير.

أما بعد: عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والحرص على ما ينفع من أمر الدنيا والأخرى مع الاستعانة بالله والتسليم لله فيما قدره وقضاه والحذر من الاعتراض على قدر الله إذا فات شيء مما يسعى له المرء ويتمناه، أو اليأس من روح الله إذا أبطأ المطلوب أو عز المرغوب، يقول الحق تبارك وتعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[2]، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«حرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»، وقال صلى الله عليه وسلم:«اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

أيها المسلمون: أما تقوى الله فإنها التحرز بطاعة الله تعالى عن معصيته طلباً لمرضاته وثوابه واتقاءً لغضبه وعقابه، وهي نبض القرآن خير لباس، والتي وعد الله تعالى أهلها في آي من التنزيل بأن يعلمهم الله، ويكف عنهم كيد الأعداء، والنجاة من النار ووراثة الجنة دار الأخيار وأن يجعل لهم فرقاناً ويكفر عنهم السيئات فضلاً واحتسابا، وأن يجعل لهم مخرجا من كل ضيق، وأن يهديهم لأقوم الطريق، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون ويؤمنهم مما يخافون.

ويجعل لهم من أمرهم يسرا ويعظم لهم أجرا وغير ذلك من الوعود الكريمة والهباة الحسنة الجزيلة العظيمة.

---

(١) (الملك: ٢ – ٣).

(٢) (التوبة: ١٠٥).

معشر المسلمين: وأما الحرص على ما ينفع من أمور الدنيا والأخرى فإنه مقتضى الفطرة السليمة ومقصد الشريعة الربانية الحكيمة، ومطلب العقل الصحيح، ووسيلة عمارة الدنيا، وبلوغ الدرجات العالية «مع الاحتساب» في الأخرى، وكم في صريح الكتاب وصحيح السنة والمأثور عن السلف الصالح من الأمة من النصوص الخاصة على صالح العمل، والمبشرة لأهله بواسع الفضل، وجزيل المثوبة من الله عز وجل قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(١).

عباد الله: هلا تأملتم تخفيف الله تعالى على الصالحين من عباده في نوافل العبادات، من أجل عملهم في مهام الأمة ومصالحها العامة من التجارات، والجهاد في سبيل الله، لهداية البريات وعذره سبحانه للمرضى العاجزين عن هذه المهمات، وحضه تعالى للجميع في سائر الأحوال على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة،وحضه على الإحسان إلى ذوي الحاجات، وعده لذلك قرضاً حسناً يعطي الله أهله عظيم الأجور، ويغفر له ويرحمهم لرحمتهم مستحق الرحمة طمعاً في رحمة رب الأرض والسموات، يقول الحق تبارك وتعالى {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

أيها المؤمنون: ولقد كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام مع علو مقامهم وشريف وظائفهم في طليعة من اشتغل بشريف المهن، طلباً لطيب الكسب والحلال من الرزق الحسن، فكان نبيا الله نوح وزكريا عليهما الصلاة والسلام ممن يحسن النجارة وكان يوسف عليه السلام يحسن تدبير الاقتصاد والتجارة، وكان داوود يحسن الصناعة، وكان إدريس عليه السلام خياطاً عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم وسلم جميعا يحسن رعية الغنم ولما تعاطى التجارة ربح وغنم، وكم في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم من حث الأمة على أنواع من أسباب الرزق، وحثها على الإحسان والتقوى والصدق ولقد عد صلى الله عليه وسلم طلب الرزق في هذه الأمور مع التقوى مما يعدل الجهاد في سبيل الله وأن الإنفاق على النفس والأهل من ذلك الكسب يعدل أو أفضل من النفقة في سبيل الله.

---

(١) (النحل: ٩٧).

فتحلوا «عباد الله» بالتقوى تفلحوا واعملوا صالحاً تربحوا، واطلبوا الحلال من الكسب، والطيب من الرزق تستغنوا عن منة الخلق وتؤجروا، وأنفقوا من طيبات ما كسبتم تحسنوا دوماً {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[1].

(١) (سبأ: من الآية ٣٩).

مختصر الكلم في الحث على صلة الرحم

الحمد لله الملك القدوس السلام، والذي أمر بصلة الأرحام، وجعلها من خصال الإيمان وحقوق الإسلام، وموجبات دخول الجنة دار السلام.

أحمده تعالى على بليغ حكمته في التدبير والأحكام واشكره جل ذكره على مترادف الإحسان وسابغ الإنعام. واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله بأن يوحد الله وتكسر الأوثان وتوصل الأرحام صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين هم أسبق الناس إلى الإسلام وأفقههم فيما فيه من الحكم والأحكام وأوصلهم للأرحام.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله وصلوا الأرحام توصلوا من الله تعالى بكل خير وإكرام، وتدخلوا الجنة دار السلام، وتنجوا من النار التي أُعدت للكافرين وقاطعي الأرحام {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}[1]، وقال تعالى {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[2].

عباد الله: الرحم هي علاقة القرابة سميت رحما لأنها داعية التراحم أي الرقة والتعطف والرحمة والتلطف ومن أصناف أهل الجنة رجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وفي الحديث «أرحموا ترحموا» وفيه «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وفيه «ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله».

معشر المسلمين: إن صلة الرحم خلق من الأخلاق الكريمة، وخصلة من خصال الإيمان القويمة أثنى الله تعالى على أهلها في القرآن ووعدهم بعلي الجنان وما فيها من أصناف النعيم والرضوان، وأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم وحث عليها فيما ثبت عنه من بيان وبالغ في تأكيد صلتها حتى أخبر أنها مشتقة من اسم الله الرحمن فواصلها موصول وقاطعها مقطوع فما أبلغ البيان، والإعذار إلى الديان.

---

(١) (الرعد: ٢٥).

(٢) (محمد: ٢٢ – ٢٤).

أيها المسلمون: صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب والاجتهاد في ذلك على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالزيارة والسلام، وتارة تكون ببذل المال ومتنوع الإكرام، وأخرى تكون بكف الأذى والمواساة عند المصيبة والأحوال الضارة، والتهنئة بتجدد النعمة وزوال البلية وتحقق الأحوال السارة فحقيقتها حسن العشرة والصحبة للوالدين والأهل والولد وسائر القرابة، بالمداراة وسعة الخلق وطيب النفس، وتمام النفقة وتعليم الأدب والسنة، وحملهم على واجب الطاعة، وترغيبهم في النافلة، وكفهم عن الإثم والمعصية، وإغرائهم بالابتعاد عن مظان الريبة واتقاء الشبهة والصفح عن الإساءة والعثرات والإحسان حتى مع القطيعة والجفاء تقرباً إلى رب الأرض والسموات، فليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها، ومن أحسن إلى قرابته مع إساءتهم إليه فكأنما يسفهم المل «أي الرماد الحار» ولا يزال معه من الله ظهير عليهم ما دام كذلك.

أيها المؤمنون: لقد جعل الله تبارك وتعالى إيتاء ذي القربى «إي صلتهم» قرين التوحيد وبر الوالدين في الذكر الحكيم، وجعلها سبب في الفوز بالمغفرة والرزق الكريم، والجنة دار الرضوان وأصناف التكريم، كما قرن جل وعلا قطيعة الأرحام بالشرك والعقوق وغيرهما من أنواع الظلم والإجرام، وجعلها أمارة على نقص العقل وعدم التدبر لكلام الله وسبباً في عمى البصائر والطرد والإبعاد عن مظان رحمة الله، والحرمات من دخول الجنة والخلود في النار مع أشقى خلق الله وكفى بذلكم زجرا عن القطيعة وتنبيهاً على عظيم عقوباتها وعواقبها الشنيعة.

أيها المؤمنون: ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«احفظوا أنسابكم، تصلوا أرحامكم، فإنه لأبعد بالرحم إذا قربت وإن كانت بعيدة، ولا قرب بها إذا بعدت وإن كانت قريبة وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها» رواه البخاري في الأدب المفرد و الحاكم في المستدرك. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرحم شجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذُلقٍ «أي فصيح بليغ» اللهم صل من وصلني وأقطع من قطعني، فيقول الله تبارك وتعالى «أنا الرحمن الرحيم خلقت الرحم، وإني شققت للرحم من اسمي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت بلى يا رب قال فذلك لك.

معشر المؤمنين: ومما ورد بشأن صلة الأرحام ما ثبت عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم «أن لا تأخذني في الله لومة لائم، وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت»، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»، وعنها أيضاً رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلة الرحم وحسن الجوار أو حسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» أي حزابا، وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له «أي يؤخر» في أثره فليصل رحمه»، وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يمد الله في عمره، ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه»، وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».

حقيقة البدعة ووجوب الحذر منها ومن أهلها
والدلالة على العقائد التي تعصم منها ومن أهلها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى واستمسكوا بما جاءكم من ربكم من الدين والهدى تأمنوا الضلال والشقى وتفلحوا وتربحوا وتسعدوا في الدنيا والأخرى قال تعالى {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}(١)، وقال سبحانه {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}(٢)، وقال جل ذكره {من عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(٣)، وقال تبارك اسمه {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}(٤).

عباد الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(٥).

أيها المسلمون: إن البدع في الدين هي التي تفرق الدين وتحزب المسلمين، وتجعلهم شيعاً متناحرين كل حزب بما لديهم فرحون فإنهم إذا ضلوا بعد الهدى كانوا عليه تماروا وأوتوا الجدل في الدين، فتباغضوا وتهاجروا وتقاطعوا، وتجارت بهم الأهواء كما يتجارى الكلبُ بصاحبه، فتفرقوا في الدين واستحلوا حرمات المخالفين، تمسكوا بالشبهات وإتباعاً للشهوات، وغفلة عن مراقبة رب الأرض والسموات، فأهلك بعضهم بعضا وصاروا شماتة للأعداء، إذ قالوا على الله وفي دينه بغير علم، وتركوا الحق مع العلم وباؤا بسبب الضلال والإضلال بأعظم الإثم، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم

---

(١) (طه: من الآية ١٢٣).

(٢) (الأنعام: ٨٢).

(٣) (النحل: ٩٧).

(٤) (هود: ١٠٨).

(٥) (آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣).

والله لا يهدي القوم الفاسقين كيف لا وقد قال الحق تبارك وتعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(١)، وقال {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(٢).

معشر المسلمين: توجد عقائد يقينية ضرورية راسخة في قلوب المسلمين أمكن من رسوخ الجبال الشامخة في تخوم الأرض دل عليها الكتاب والسنة وأجمعت عليها الأمة وهذه العقائد جعلها الله تعالى «بمنه وكرمه» عواصم من مضلات الفتن ومن البدع وقواصم لكل من ضل وابتدع إذا تذكرها المسلم وعقلها أنكر الضلالات والبدع وأنكر على كل من ضل وابتدع لأنها حجج قاطعة وبراهين ساطعة تكشف الضلالات وترد الشبهات، وتفرق بين الدليل الحق والاستدلال الباطل فمن هذه العقائد الإيمانية اليقينية الضرورية أن الله تعالى قد أكمل الدين وأتم به النعمة على المسلمين كما قال تعالى {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}(٣) فقد كمل الدين واستقر الشرع قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبوفاة النبي صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي الشرعي فلا زيادة في الدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءنا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشيء يزعم أنه من دين الله لم يرد له أصل في الكتاب والسنة فهو مبتدع يرد عليه ما جاء لقوله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

أيها المؤمنون: وأما العقيدة الثانية من العقائد الإيمانية اليقينية الراسخة فهي الاعتقاد بأن الله تعالى قد بين لنبيه صلى الله عليه وسلم كل ما أوحاه له صلى الله عليه وسلم من الشرع تحقيقاً لقوله {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}(٤) وقوله تعالى {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}(٥) وقوله تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(٦)، وقال تعالى {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}(٧) فقد علم صلى الله عليه وسلم كل ما أوحى الله

---

(١) (النور: من الآية ٦٣).

(٢) (الأنفال: ٢٥).

(٣) (المائدة: من الآية ٣).

(٤) (القيامة: ١٧ – ١٩).

(٥) (آل عمران: ١٣٨).

(٦) (النساء: ٢٦).

(٧) (النساء: من الآية ١١٣).

إليه من الشرع وفهمه وعلم كيفية العمل به وتبليغه قال تعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[١] وقال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[٢] فمن أتى بشيء يخالف الكتاب والسنة فإما أن يكون أعلم بمراد الله من الله ورسوله وإما أن يكون قائلاً على الله وفي دينه وعلى رسوله بغير علم، قال تعالى {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٣] وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}[٤].

معشر المسلمين: ومن تلكم العقائد الإيمانية اليقينية الراسخة الاعتقاد بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل ما أنـــزل إليه من ربه أكمل البلاغ وبينه بأقواله وأفعاله وأحواله وتقريره أتم البيان عملاً بقول الحق تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنـــزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[٥]، وقوله تعالى {وَمَا أَنـــزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ}[٦]، ولقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس ويقول:«صلوا كما رأيتموني أصلي وأدوا المناسك على أكمل وجه»، وقال:«خذوا عني مناسككم فلا أدري فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» وهكذا جميع أمور الدين بلغها النبي صلى الله عليه وسلم أكمل بلاغ وبينها أتم بيان وخاطب الناس في شرف جمع حضره صلى الله عليه وسلم وقال فيما قال:«أيها الناس إنكم يوشك أن يأتيني ربي فأجيب وإنكم مسئولون عنها فما أنتم قائلون قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت فرفع صلى الله عليه وسلم أصبعه إلى السماء ثم نكتها عليهم وقال: اللهم أشهد» فقد شهدت له الأمة بالبلاغ أمامه بين يدي ربه تبارك وتعالى في يوم حرام من شهر حرام في بلد حرام على كمال تبليغه ونصحه وبيانه للإسلام الذي أكمله الله لأهل الإسلام وأتم به الإنعام ورضيه ديناً للخاص والعام فهذه العقيدة تدمغ كل بدعة في كيفيات العبادات وما شرع الله لها من الأذكار

---

(١) (النجم: ٣ – ٤).

(٢) (الأحزاب: ٢١).

(٣) (النحل: ١١٦ – ١١٧).

(٤) (الأنعام: ٢١).

(٥) (المائدة: من الآية ٦٧).

(٦) (النحل: من الآية ٦٤).

والهيئات وترد على أهل الابتداع كل ما يؤدونه من البدع ويستدلون عليها به من باطل الاستدلال والشبهات.

حقيقة المحبة وفضلها والأسباب الجالبة لها وثمرتها

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله فإنه من يتق الله يحبه الله ويعلمه وينصره ويجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويجعل له فرقانا، ويجعل له من أمره يسرا، ويكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا، ويجنبه النار، ويورثه الفردوس الأعلى مع الأخيار، وأحبوا الله لما ابتدأكم به وأسلف وواصل من سابغ نعمه، ولما تابع عليكم وعدد وأجزل من ألوان جوده وكرمه ولما ترون وتعلمون من كمال ذاته وحسن أسمائه وعلو صفاته، وإتقان صنعه لمخلوقاته، وعظيم حكمته في خلقه وشرعه وقدره وتدبيره لبرياته، ولما ترجوه من متنوع مثوبته للمؤمنين وكراماته فإنه بالتقوى تجتنب النواهي وتتقي المعاصي وبالمحبة يلزم الحق الصبر والتراحم وتتحقق بيد أهلها فيها التواصي.

عباد الله: إن محبتكم لله تعالى هي أسس العبودية وحقيقة التوحيد، وروح الإيمان ومنشأ الأعمال الصالحة والمقامات الخيرة والأحوال الحسنة من العبيد، ويصدقها وتحقيقها وتكميلها والبعد عن نواقضها ونواقصها سعد السعيد فاصدقوا في محبتكم لله بإتباعكم لنبيه ورسوله ومجتباه نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تعالى إليكم بدينه وهداه يحببكم إليه ويغفر لكم {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[1] وعلامة ذلك ذلكم ورقتكم ورحمتكم وإحسانكم ومحبتكم للمؤمنين بالله، وبغضكم وعداوتكم وشدكم على أعداء الله لكفرهم وشركهم ومحادهم لله وجهادكم بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله وأن لا تخافوا لومة لائم في دين الله على وفق ما شرع فتلكم علامات محبتكم وتوليكم لله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}[2].

أيها المسلمون: ليس الشأن أن يحب أحدكم الله ولكن الشأن أن يحبكم الله فكم مدعي لمحبة الله وهو بغيض عند الله ولذلكم يمتحن الله مدعي محبته بمتابعة خليله محمد صلى الله عليه وسلم فإن الدعوة لا تقبل إلا بالبينة وإن بينة دعوى محبة الله تعالى إتباع نبيه المصطفى ورسوله المجتبى في ما جاء به من الدين والهدى وقد تضمن ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم من الدين والهدى التنبيه

---

(١) (آل عمران: ٣١).

(٢) (المائدة: ٥٤ – ٥٦).

على عشرة أسباب تجلب لكم محبة المولى جل وعلا وتجعلكم من أوليائه أهل التقى ويودكم ويجعل لكم في صدور عباده الصالحين وداً فأول هذه الأسباب: قراءة القرآن بتدبر وفهم لمعانيه وعقل لما أريد به.

ثانيهما: التقرب إلى الله تعالى بفرائض الطاعات وتكميلها بجنسها من النوافل المستحبات ففي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه».

وثالثهما: دوام ذكر الله تعالى على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال.

معشر المسلمين: وأما الرابع من تلك الأسباب فهو إيثار محابه تعالى على محابكم وتقديم مراده على مرادكم فإن المحب لمن يحب مطيع.

وخامس تلكم الأسباب فهو: تدبر معاني أسماء الله تعالى وصفاته وذكره ودعاؤه بها والبراءة من الملحدين في أسماء الله وآياته.

وسادسها: تذكر أنواع بره تعالى ومتنوع إحسانه وعظيم ألطافه بالصبر في قدره وقضائه.

معشر المسلمين: وأما السابع من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى فانكسار القلب بين يدي ربه مفتقراً مضطراً إليه وانطراح العبد لربه منيباً مخبتاً إليه.

وأما الثامنة: فهو تحري أوقات الغفلة للخلوة به تعالى، الضراعة إليه والاستغفار من التقصير في حقه والتوبة إليه في جوف الليل الآخر، وحين ترمض.. من الضحى وغيرها من الأوقات التي ينهمك الناس فيها في المتع والشهوات.

أيها المؤمنون والتاسع: من تلكم الأسباب الجالبة لمحبة الله فمجالسة الصالحين من عباد الله الذين يذكرون جليسهم بالله ويعينونه على طاعة الله ويزهدونه في محرم وفضول متع دنياه ويكفونه ويحولون بينه وبين معصية الله.

وأما العاشر: فمجانبة والعبد من كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل والإحسان إلى عباد الله ابتغاء ما عند الله فإن أحب عباد الله إليه أرحمهم بعباده وهم أهل الرحمة فأينما يرحم الله من عباده الرحماء.

أمة الإسلام: إن محبة الله تعالى هي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون ونور البصائر وشفاء الأسقام والدليل على صحة الإسلام وكمال الإيمان والتحقق بالإحسان وآية الشوق إلى الله تعالى ومحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وعباد الله الصالحين وفيها التسلية من المصائب، وموجبة طيب

الحياة الدنيا وسعادة الآخرة والحائلة بين العبد وبين أسباب الشهوة والحسرة في العاجلة والآجلـــة، فأحبوا الله من قلوبكم وتحلوا بما يحببه إليكم يحببكم ولا تحبوا معه غيره فيعذبكم.

التحذير من مكائد الشيطان للإنسان

الخطبة الأولى

الحمد لله الرب الرحمن، العظيم الشأن، كامل الإحاطة والقدرة والسلطان {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}[1]، أحمده سبحانه على هدايته بالقرآن وما أنـــزله من بيان وأشكره على نعم مترادفه سابغه كثيرة حسان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي حذرنا من الشيطان وأخبرنا بعداوته لنا منذ خلقنا وإلى أن ندرج في الأكفان.

وأشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الذي بين لنا صوراً متكررة من كيد وعداوة الشيطان. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أولي البصائر والإحسان.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تبارك وتعالى واعبدوه فإنكم إن لم تتقوه وتعبدوه اتبعتم وعبدتم الشيطان فأوردكم دركات النيران {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}[2].

عباد الله: هذه النهاية التي يصل إليها من لم يعبد الرحمن الرحيم، وعبد الشيطان الرجيم، التردي في الجحيم، وصلى العذاب المهين الأليم، ولا يقولن قائل إنه لم يعبد الشيطان لأنه لم يسجد له في محراب ولم يصغي له إلى خطاب، فيرد عليه بجواب فإن كل من عصى الله تعالى في إمتناع عن مأمور أو ارتكاب محظور أو الجزع على محض مقدور فقد ترك عبادة الرحمن وعبد الشيطان فإن كل من عصى الرحمن فقد أطاع الشيطان لأن الشيطان وهو الداعي إلى معصية الرحمن الصاد عن سبيل الجنان المزين لسبل النيران كما أخبر الله عن قوله في محكم القرآن {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[3] {وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ

---

(١) (الرحمن: ٣٣).

(٢) (يس: ٦٠ – ٦٤).

(٣) (الحجر: ٣٩ – ٤٠).

الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا}[١].

معشر المسلمين: إن العبادة هي الانقياد للنبي عن ذل وطواعية وعلم فمن استنكف واستكبر عن عبادة الرحمن مختاراً فقد استجاب للشيطان وعبده اضطراراً، فاتقوا أن تكونوا عبيداً للشيطان فتبحوا كافرين بالرحمن سالكين لسبل النيران باستجابتكم للشيطان {إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا}[٢].

معشر المؤمنين: كم أبدى الله تعالى وأعاد في محكم القرآن في بيان عداوة الشيطان للإنسان والنهي عن إتباع خطواته أو الإصغاء إلى تزيينه ووسوساته ليضل الناس عن سبيل الله ويحملهم على الإشراك بالله أو الابتداع في دينه وارتكاب معاصيه وحسبكم قوله تعالى {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}[٣]، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فإنه إذا دخل أهل النار مع الشيطان خطبهم الشيطان خطبة تزيدهم ندماً وشقوة وحشرة وألماً كما قال تعالى {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٤].

أمة الإسلام: ومما بين الله تعالى في محكم تنـــزيله وأحسن قبله أن الشيطان يستدرج الإنسان إلى المعصية بخطوات تكون مقدمات لإيقاعه فيها فأول تلك المقدمات أنه يوسوس له بالنصح وثانيهما الوعد بالفائدة العاجلة وثالثهما التأمين من الخسارة المحتملة كما في خديعته الأبوين عليهما السلام في تزيين معصية الله تعالى بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن قربانها قال لآدم عليه السلام {هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى}[٥]، {وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا

---

(١) (النساء: ١١٨ – ١٢١).

(٢) (مريم: من الآية ٤٤).

(٣) (الحشر: ١٦ – ١٧).

(٤) (إبراهيم: ٢٢).

(٥) (طه: من الآية ١٢٠).

مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا} أي أقسم لهما {إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}[١]، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}[٢].

أمة الإسلام: وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا فيقول الله، من خلق كذا حتى يقول من خلق الله؟ قال صلى الله عليه وسلم فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» وفي رواية «وليقل الله خالق كل شيء» وفي رواية «وليقل آمنت بالله ورسوله» وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال:«يعقد الشيطان على قافية أحدكم «إذا هو نام» ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد قال صلى الله عليه وسلم فإن هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدة فإذا صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى ما يعصم من الشيطان وهو الاستعانة بالله تعالى عملاً بقوله تعالى {وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[٣]، الثاني الاعتصام بذكر الله تعالى، الثالث الأخذ بأسباب اليقظة من النوم للصلاة، الرابع مباشرة الصلاة والدعاء وبهذا يتحقق الصلاح وتطيب الحياة ويتقي كيد الشيطان وتجنب سبل النيران ويتحقق الفلاح وتعظم الأرباح، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) (الأعراف: ٢٠ – من الآية ٢٢).

(٢) (البقرة: من الآية ٣٦).

(٣) (الأعراف: ٢٠٠).

معرفة الله تعالى حقيقتها وثمراتها

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون.

وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون. أحمده سبحانه له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير. يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور. وأشهد أن لا إله إلا الله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وأشهد أن محمد عبده ورسوله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله واعرفوه سبحانه بتدبر معاني أسمائه وصفاته وأثارهما في أنفسكم وغيركم من مخلوقاته فإن معرفة الله تعالى هي العلم به المتوصل إليه بتدبر وتفكر فمعرفة العبد بربه تبارك وتعالى هي العلم الخاص الذي يتوصل إليه بتدبر وتفكر في أسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته فإن الخلق لا يحيطون بالله قال تعالى {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}[1]، فإن العبد يعرف ربه ولا يعلمه ذلك لأن العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً والله يقول عن نفسه {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[2]، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم «والله إني أخشاكم وأتقاكم»، فلما كان صلى الله عليه وسلم أعلم بالله كان لله تعالى أتقى ومنه أخوف وله أرجى وإنما كان صلى الله عليه وسلم بالله أعرف لما أنزل الله عليه من الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وإلا فإنه صلى الله عليه وسلم لم يرى ربه بعيني رأسه كما قال صلى الله عليه وسلم «رأيت نورا» وقال صلى الله عليه وسلم «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا».

عباد الله: اعرفوا ربكم تبارك وتعالى بآياته ومخلوقاته فإنها آثار لأسمائه وصفاته ودلائل قاطعة على تفرده سبحانه وتعالى بأنواع كمالاته وتنزهه عن النقائص والعيوب ومماثلة مخلوقاته وأنه تعالى غني بذاته عن جميع مخلوقاته وأن الخلائق كلها فقيرة مضطرة إليه صامدة لها معتمدة عليه في جميع حاجاتها عليه ومخلوقة له ومصيرها حتماً إليه ولا إله حق سواه له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل

---

(١) (طه: ١١٠).

(٢) (الأنعام: ١٠٣).

العليا فلا تضربوا الأمثال لله، فلا تعبدوا إلا إياه فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فلا خالق غيره ولا شريك له في أسمائه ولا مثل له في صفاته ولا ند له في إلهيته وعبادته فالذين آمنوا أولوا الألباب لربهم يوحدون والكفرة الضلال بربهم يعدلون إذا سووا المخلوقين بأحسن الخالقين.

أيها المؤمنون: لما كانت المعرفة بهذه المثابة دعا الله تعالى عبادته إلى معرفته والإعتقاد بكماله وإلهيته ووجوب عبادته من طريقين:

الأول: النظر والتفكر في مخلوقاته كما قال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[1] الآيات، وقال تعالى {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}[2] الآيات، وقال تعالى {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ}[3] الآية، وذلكم لأن هذه المخلوقات براهين ساطعة ودلائل قاطعة على علم خالقها جل وعلا وحكمته وقدرته وعزته وفضله ورحمته ووجوب توحيده والإخلاص له في عبادته.

أمة الإسلام: وأما الطريق الآخر الذي نصله الله تعالى دليلاً عليه وأمر عباده أن يعرفون به فهو التدبر لآياته الشرعية وأحكامه الدينية والقدرية والجزائية فإنها دلائل على عظمة شأنه وعز سلطانه وتفرده في خصائصه وشأنه وتنزهه عن شرك المشركين وتمثل الممثلين المسوين للمخلوقين برب العالمين إذ دعوهم وعبدوهم مع رب العالمين تلك التسوية الجائرة الظالمة التي أردتهم في الجحيم {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[4].

معشر المسلمين: إن معرفة الله تعالى هي أساس الإيمان به والتصديق برسله وما أرسلوا به وهي وسيلة التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وهي تورث السكينة والطمأنينة إلى الله تعالى والرضا به رباً ومعبوداً، وتجلب محبة الله تعالى والذل له وتعظيمه وخشيته والانقياد بالطاعة والذل في الحاجة وهي توجب طيب العيش وسعادة الأبد فإن من عرف الله تعالى في الرخاء عرفه الله جل وعلا في

---

(١) (آل عمران: ١٩٠: من الآية ١٩١).

(٢) (الغاشية: ١٧).

(٣) (الأعراف: من الآية ١٨٥).

(٤) (الشعراء: ٩٦ – ٩٨).

الشدة فثبته عند البلاء والشكر عند الرخاء ولهج بذكر الله تعالى والضراعة إليه في سائر الأناء فإنها ينبوع المحبة وأصل التقوى وجماع السعادة في الدنيا والآخرة.

التقوى وفضل الصوم في محرم

الحمد لله معز من أطاعه ومذل من عصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله ومصطفاه، أفضل نبي وأكمل مرسل بعثه الله، فلا نبي بعده، ولا يقبل من أحد غير دينه وهداه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى بطاعته واجتناب معصيته، والشكر لنعمته، والإكثار من دعائه، وذكره، والتوبة إليه من التقصير في حقه فإن التقوى خير ما به تزودتم، وخير ما لبستم، وخير ما سعدتم به في الدنيا، وأفلحتم به في الأخرى، واتقيتم به الشر والشقوة في العاجلة والآجلة، قال تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}(١) وقال سبحانه {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(٢) وقال سبحانه {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}(٣) وقال جل ذكره {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}(٤) وقال عز من قائل {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}(٥).

عباد الله: إن التقوى خير وسيلة للنصر على الأعداء، ومجلبة للبركات من الأرض والسماء، ووقاية للمتقي من النار، وتورثه جنات تجري تحتها الأنهار، فاتقوا الله ما استطعتم حق تقاته تتقوا الشقوة والعذاب وتفوزوا بمغفرته ومرضاته، وعد الله لا يخلف الميعاد ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أيها المسلمون: لقد كان من منهاج نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم – وقد كان أعرفكم بالله تعالى وأخشاكم له واتقاكم له – أن يزين عمله يوم عرضه على الله تعالى – بالصوم، فكان صلى الله عليه وسلم يصوم يومي الاثنين والخميس ويقول:«إنهما يومان تعرض فيها أعمال العباد على الله عز وجل، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»، وقال صلى الله عليه وسلم «تعرض أعمال العباد على الله يوم الخميس ليلة الجمعة فيغفر لكل مسلم ومسلمة لا يشركان بالله شيئاً إلا اثنين بينهما

---

(١) (البقرة: من الآية ٢٨٢).

(٢) (الأنفال: ٢٩).

(٣) (الطلاق: ٢ – ٣).

(٤) (الطلاق: من الآية ٥).

(٥) (الطلاق: من الآية ٤).

شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا» فزينوا أعمالكم لعرضها على الله تعالى بالصوم وفق السنة وترك الشحناء والغل واسعوا في الإصلاح والتصالح تنالوا المغفرة والرضى من رب الأرض والسماء.

معشر المسلمين: وإذا كان الصوم مما يزين به العمل الصالح، وترك الغل والتشاحن من أسباب المغفرة وجليل العمل الصالح، فكيف إذا كان ذلك في شهر الله المحرم الذي الصوم فيه أفضل – وفي رواية أحب الصيام – بعد رمضان شهر الله المحرم وقال الله تعالى فيه – وفي بقية الأشهر الحرم – {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[1] فاتقوا الله في شهركم وأحسنوا فيه صومكم وتسامحوا وتصالحوا وأصلحوا فيه ذات بينكم تفوزوا بالمعية، والقبول وكريم المثوبة، وعظيم الرضوان من ربكم. الغفور ذي الرحمة.

أيها المؤمنون: ثواب الصيام عظيم لأنه عمل اختصه الله تعالى لنفسه فجعل ثوابه عليه لحبه له كما في الحديث القدسي الصحيح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي» فإذا كان شأن الصوم عند الله تعالى وثوابه على الله الغني الكريم وإذا كان ثواب الأعمال الصالحة سواء الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فإن ثواب الصوم لا يحد بحد بل على معيار قوله تعالى {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[2] فكيف إذا وقع في أفضل زمان بعد رمضان مع الإخلاص والإحسان {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[3] فاستقيموا لله تعالى على الإسلام وعظموا الشهر الحرام وأحسنوا صيام ما تيسر لكم من الأيام غير أنكم لا تصوموه كله، ولا تصوموا أكثره فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم ما صام قط شهراً كاملاً إلا رمضان، وكان أكثر ما يصوم من شعبان.

أمة الإسلام: إذا صمتم ثلاثة أيام من الشهر فذلك يعدل صوم الشهر لأن الحسنة بعشر أمثالها. فثلاثة أيام بثلاثين يوما. وقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يصوم العاشر من محرم «عاشوراء» ويخبر أن صومه يكفر السنة الماضية، وقال صلى الله عليه وسلم «لأن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع «يعني مع العاشر»» وقال صلى الله عليه وسلم «صوموا يوم قبله أو يوم بعده خالفوا

---

(١) (التوبة: من الآية ٣٦).

(٢) (الزمر: من الآية ١٠).

(٣) (البقرة: ١١٢).

اليهود» وفي رواية ضعيفة «صوموا يوما قبله ويوما بعده» وهذا يا عباد الله أكمل شـــيء في صـــيام عاشوراء «عند أهل العلم» أن يصام معه يوما قبله ويوما بعده فكيف إذا انضم إلى ذلـــك صـــيام الاثنين والخميس من كل أسبوع وثلاثة الأيام البيض من الشهر اجتمع للمسلم صيام نصف الشهر فاتقوا الله عباد الله ولا تفرطوا في سننٍ يسيرة أجورها كبيرة وفضائلها شـــهيرة ألا وإن الصـــوم في الشتاء هو الغنيمة الباردة فاللهم لك الحمد على يسر العمل وعظم الفائدة ألا فاتقوا الله عبـــاد الله واستبقوا الخيرات واستكثروا من الحسنات وتوبوا إلى ربكم مـــن الســـيئات تـــذهبوا بـــالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم فضلاً من ربكم ذلكم هو الفضل العظيم.

الحث على تعاطي أسباب الرزق المشروعة والمباحة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهلك الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله يوما ترجعون فيه على الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، فإن التقوى وصية الله للأولين والآخرين وأسس دعوة المرسلين والنبيين، وزبدة هداية الكتاب المبين والتقوى فعل ما أمر الله به قدر الاستطاعة واجتناب ما نهى الله عنه حال الإنفراد أو في الجماعة والتوبة إلى الله تعالى من الخطيئة قبل الغرغرة وقبل قيام الساعة وإنه من يتقي الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ويعلمه الله ويجعل له من أمره يسرا ويكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا وينجيه من النار ويورثه الجنة مع الأخيار.

فاتقوا الله «عباد الله» فإنكم عما قليل إلى ربكم منقلبون وبين يديه موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى تفريطكم نادمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

عباد الله: إن من أعظم خصال التقوى وموجبات الكرامة والعزة في الدنيا والأخرى، أن يتعاطى المرء سبباً من أسباب المعيشة من صنعة أو حرفة يتقنها أو تجارة يحسنها أو فكرة ومخترع ينفع بها مجتمعه وينتفع من ورائها فتكون له وظيفة يعف بها نفسه ويعول بها ذويه ويفيد بها غيره ويكون بها حرا غير مستعبد إلا لله وحده قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ}[1]، وقال تعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[2]، وقال تعالى {ليس عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ}[3] وقال سبحانه {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}[4].

معشر المسلمين: وكم في ما صح من سنته النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الحاثة على تعاطي أسباب الرزق بأنواع الكسب الشريف الصناعات والمهن مما يغري العقلاء أن يجعلوا طلب

---

(١) (البقرة: من الآية ٢٦٧).

(٢) (التوبة: ١٠٥).

(٣) (البقرة: من الآية ١٩٨).

(٤) (النساء: من الآية ٣٢).

الرزق مع التقوى من جليل العمل الصالح وعظيم أسباب تحصيل المتجر الرابح ففي البخاري رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه «يعني عن الحاجة إلى الناس» حتى له أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»، وفيه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده»، وفي صحيح مسلم رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«كان زكريا عليه السلام نجارا».

أيها المسلمون: ولقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يتعاطى أسباب الرزق يستغنى بها عن منة الخلق ففي أول أمره قبل البعثة كان يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، أي يرعى الغنم بأجر، ثم تعاطى صلوات الله وسلامه عليه التجارة بأموال خديجة رضي الله عنها عن طريق الرحلة إلى الشام اشتهر فيها بعظيم أمانته وحسن تصريفه ويمن تجارته، ثم لما بعثه الله برسالته وشرع له الجهاد لتبليغ رسالته ونشر دعوته جعل الله رزقه تحت ظل رمحه فأحل له ولأمته الغنائم وجعل له نصيباً من الخمس من سائر المغانم.

أيها المؤمنون: فهذه الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة توضح لكم وللعالم أجمع أن دين الإسلام دين بناء وعمل وأنه حرب على البطالة والكسل، دين يحمل أهله على الكسب والجد في عمارة الأرض ويجعل له ذلك من قبيل المستحب أو الفرض لأهل الغنى واليسار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأثر العظيم في إظهاره دين الله عن طريق إعتاق العبيد على الإسلام ابتغاء ما عند الله وتجهيز المقاتلين والجيوش لإعلاء كلمة الله وإيواء المهاجرين والمستضعفين من عباد الله حتى بشروا بالمغفرة والجنة ورفيع الدرجات وجزيل المثوبة على هذا الإنفاق لله وهم يمشون على الأرض قبل أن يلقوا الله وحسبكم تقريره صلى الله عليه وسلم للذين قالوا ذهب أهل الدثور «أي الأموال العظيمة ينفقونها ابتغاء وجه الله» بالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم، وقوله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أمة الإسلام: وإنه لمن المحزن جداً أن يظل المجتمع عالة على أبناء غيره في تجارته وصناعاته، وفي بناء مساكنه وصيانة معداته، وفي خدماته ومتنوع حاجاته من صيانة الأجهزة والمراكب إلى ما يتعلق بالملابس والأثاث وأمور المآكل والمشارب وأبناؤه في غاية من قوة الشباب، ووجود الحاجة وتوفر الأسباب لكن كثراً منهم قد آثر الكسل على العمل، ورضوا بالإتكالية والدونية والشكوى إلى الله عز وجل.

ألا فاتقوا الله أيها المؤمنون: واكلفوا ما تطيقون من العمل واجعلوا طلب الرزق بالأعمال الشريفة والمهن والأسباب المباحة من صالح ما تتقربون به إلى الله عز وجل فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم صافح رجلاً فوجد في يده خشونة من العمل فقال إن هذه يمين يحبها الله عز وجل، وروي عنه أنه قال:«من أمسى كالاً «أي مجهد من عمل يده» أمسى مغفوراً له».

اغتنام العمر فيما ينفع

الحمد لله على سابغ النعمى ومترادف الألاء أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه يملأ الأرض والسماء وما فيهما وما بينهما وغيرهما مما يشاء، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له لـــه الأسمـــاء الحسنى، والمثل الأعلى وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبد الله المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الأئمة الحنفاء.

أما بعد: فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى في أموركم عامة، وفي أوقاتكم خاصة فإن أوقاتكم هي أعماركم التي كتبها الله لكم ومنحكم إياها لتبتغوا بها صالح العمل وتتقوا السيئات وتتوبوا من التقصير والزلل فأنتم مبتلون بها ومسئولون عنها قال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[1] وقال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}[2].

في طلب العلم النافع والعمل الصالح والقول السديد والتحلي بكل خلق حميد وفيما أباح الله لكم من الأمور التي تجم النفوس، ولا تحط بها إلى الخسيس فاحسنوا في عبادة الله واستغفروا من التقصير في حقه وأحسنوا في مجاهدة أنفسكم على طاعته والإحسان إلى مستحقه من خلقه تنالوا الأجر العظيم والقرب من الرب الكريم ذلك هو الفوز العظيم، قال تعالى {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[3] وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نـــزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}[4]، فاغتنام الوقت في صالح القول والعمل، هو المتجر الرابح والفوز المحقق عند الله عز وجل.

عباد الله: وأما إمضاء الوقت في سيئات الأقوال والأعمال، والنيات فهو الخسارة المحققة والمصائب الموبقة لأهل التفريط والغفلات وإنما ينكشف هذا عند الممات ويوم حشر البريات، قال تعالى {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا

---

(١) (الملك: ١ – ٢).

(٢) (الفرقان: ٦١ – ٦٢).

(٣) (البقرة: ١١٢).

(٤) (الكهف: ١٠٧ – ١٠٨).

إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[1] وقال تعالى {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[2]، ولهذا يراد على هؤلاء المفرطين فقال {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}[3].

معشر المسلمين: عمر الإنسان هو حظه ورأس ماله في الدنيا، وإنما يجني أرباحه أو خسارته في الأخرى إذا تبينت قيمة الأوقات بما أنفقت فيه من الحسنات أو السيئات فما كان منها في الحسنات فهو تجارة لن تبور، وما كان منها في السيئات فهو مصيبة محققة يدعو صاحبها على نفسه بالويل والثبور لأنه استنفق عمره فيما يضره ويشقيه وذلك جزاء كل كفور وأما من أضاع الوقت دون أن يشغله بما ينفعه في آخرته فإضاعته له خسارة تتجلى له إذا عاين الموت وإذا نفخ في الصور لأنه لم ينفقه لما ينفعه يوم الحشر والنشور، فاغتنموا «عباد الله» رحمني الله وإياكم أوقاتكم في أربح البضاعة ولن يكون ذلك إلا بالطاعة وقبل الموت «الذي في حق الشخص» قيام الساعة وتذكروا أن الصوارف من الخير كثيرة، والعوارض عن العمل متنوعة، وأن الآجال مغيبة وأن الآمال عراض، وأن المنايا قواطع الآمال فالآجال لا تأتي إلا فجأة، فإذا حضر لا يمكن دفعتها، وعند إذن لا تنفع الأمنية ولا تمكن التوبة {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[4] فمن حضره أجله رحل، وانقطع عنه العمل، وبما عمل. ألا فاتقوا الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

---

(١) (المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠).

(٢) (المنافقون: ١٠ – ١١).

(٣) (فاطر: من الآية ٣٧).

(٤) (الأعراف: من الآية ٣٤).

أسباب الثبات على الدين الحق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليما.

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله والزموا الحق فإن الله تعالى هو الحق، وقوله الحق ودينه الحق، ورسوله حق، ووعده حق، ولقاءه حق، والجنة حق والنار حق، فاثبتوا على الحق فإن الحق وأهله في الجنة، وإن الباطل وأهله في النار، ألا وإن الأعمار منتهية والحياة منقضية، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}[1].

عباد الله: إن للثبات على الحق أسباباً وللضلال عنه أبواباً، فاطلبوا أسباب الثبات عليه واحذروا وفروا من أبواب الضلال عنه فإنه من يتحرى الخير يلقه، ومن يتوقى الشر يوقه، ومن لا يتحرى ولا يتوقى فإنه من الأخسرين الهالكين شرعاً {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}[2].

أيها المسلمون: إن من أسباب الثبات على الدين الحق أن يعترف المرء بمنة الله عليه ويغتبط بالهداية له وفيه كما قال تعالى {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[3] وقال تعالى {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[4].

---

(١) (فاطر: ٥ – ٨).

(٢) (الكهف: ١٠٣ – ١٠٦).

(٣) (الحجرات: من الآية ١٧).

(٤) (الحجرات: ٧ – ٨).

معشر المسلمين: ومن أسباب الثبات على الدين الحق، الاستقامة على ما علم منه بالعمل به بالتقرب إلى الله تعالى بأداء ما افترض الله عليه، والبعد عما نهاه الله عنه وترك الركون إلى الظالمين والفاسقين وترك ما اشتبه عليه حكمه والاستكثار من النوافل، والتوبة إلى الله تعالى من الخطيئة، وإتباع السيئات بالحسنات كما قال تعالى {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[1].

معشر المسلمين: ومن أعظم أسباب الثبات على الدين الحق الإلحاح على الله تعالى بالدعاء مع الضراعة طلباً للثبات عليه والعصمة من الزيغ عنه والبراءة من الحول والقوة إلا بالله تعالى كما قال تعالى {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[2]، وأخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}[3]، وفي المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول:«ربي زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم أن يقول:«اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك»، وقال صلى الله عليه وسلم:«ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة».

معشر المسلمين: ومن أعظم أسباب الثبات على الحق دعوة الناس إليه وثبتهم عليه فإنه جهـــاد، والمجاهد لله وبه مثبت ومهدي ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله، ومن دعى إلى الهدى كان لـــه مثل أجور من تبعه، وقال صلى الله عليه وسلم:«فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من حمر النعم».

معشر المؤمنين: ومن موجبات الثبات على الحق والهدى مجالسة أهل الإيمان والتقوى قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}[4]، وفي الحديث «لا

---

(١) (هود: ١١٢ – ١١٥).

(٢) (إبراهيم: ٢٧).

(٣) (آل عمران: ٨).

(٤) (الكهف: من الآية ٢٨).

تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» وفيه أيضاً «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وذلك لأنهم يدلون على الهدى ويزجرون عن الردى، ويعينون على التقوى».

أيها المؤمنون: ومن أسباب الثبات على الدين الحق الإعراض والفرار عن مجالس الخصومات والجدل في الدين والنأي عن الفتاتين كما قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}(١) وقال تعالى {وَقَدْ نَـزلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}(٢)، ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الدجال وعظم فتنته وأنه أعظم فتنة منذ خلق الله آدم وإلى أن تقوم الساعة قال صلى الله عليه وسلم:«فمن سمع به فلا يأتي، ومن حضره فلينأى عنه»، وقال صلى الله عليه وسلم:«يا عباد الله اثبتوا».

أمة الإسلام: ومن أسباب الثبات على الدين ما قرره علماء الأئمة المهتدون بهدي الكتاب والسنة من وجوب هجر أهل البدع ومقاطعتهم فإن مجالستهم تمرض القلوب وإن توقيرهم سعي في هـدي الإسلام، وما ذاك إلا لعظم الفتنة منهم وبهم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجالس صاحب بدعة ولا يأخذ دينه عن صاحب بدعة فإن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإن أهـل السنة أخذوا دينهم عن أئمة الهدى وإن أئمة الهدى أخذوا دينهم عن تابعي التابعين وتابعي التـابعين أخذوا دينهم عن التابعين والتابعون أخذوا دينهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم والصحابة رضي الله عنهم أخذوا دينهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ دينه عن جبرائيل عليه السلام عن الله جل وعلا.

معشر المؤمنين: تلكم هي السلسلة الذهبية للدين والسند المتين إلى رب العالمين. وإن أهل البدع أخذوا دينهم عن الجهلة الضالين وعن أهل الأهواء المنحرفين وعن الزنادقة المنافقين وعن المغضوب عليهم والضالين. فالحمد لله الذي هدانا لدينه الحق وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}(٣).

---

(١) (الأنعام: من الآية ٦٨).

(٢) (النساء: ١٤٠).

(٣) (الأنعام: ١٦١ – ١٦٣).

أمة الإسلام: اغتبطوا بهذا الدين الحق الذي جاءكم من عند ربكم الرحمن، نـــزل به القرآن وعلمكم إياه نبيكم صلى الله عليه وسلم فعلاً وتركاً وهدياً من الوحي والبيان، فافرحوا بهذين الأمرين أعني القرآن وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم والمكلف بالبيان وبإتباعهم فإن ذلك من الفرح المشروع وإن الإغتباط بهما شأن أهل الإيمان والخشوع {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[1]. بارك الله لي ولكم في القرآن.

(١) (يونس: ٥٨)